مجلة جامعة الملك خالد
للدراسات التاريخية والحضارية

مجلة علمية محكمة فصلية تعنى بالدراسات التاريخية والحضارية

المجلد الرابع

العدد الرابع (أكتوبر 2023م)

جامعة الملك خالد | King Khalid University

P-ISSN 1658-872X
E-ISSN 1658-8568
رقم الإيداع: 1442/3597

مجلة جامعة الملك خالد

للدراسات التاريخية والحضارية

مجلة علمية محكمة فصلية تعنى بالدراسات التاريخية والحضارية

رئيس التحرير: أ.د. أحمد بن يحيى آل فائع

مدير التحرير: أ.د. عبد العزيز محمد رمضان

هيئة التحرير: أ.د. مصطفى محمد قنديل زايد

أ.د. علي بن حسين صميلي

د. حسن بن يحيى الشوكاني

د. علي بن عوض آل قطب عسيري

الهيئة الاستشارية: معالي أ.د. إسماعيل بن محمد البشري (جامعة الجوف سابقًا)

معالي أ.د. سعيد بن عمر آل عمر (جامعة الحدود الشمالية سابقًا)

أ.د. عبد اللطيف بن عبد الله بن دهيش (جامعة أم القرى)

أ.د. عبد العزيز بن صالح الهلابي (جامعة الملك سعود)

أ.د. سليمان بن عبد الرحمن الذييب (جامعة الملك سعود)

أ.د. مسفر بن سعد الخثعمي (جامعة بيشة)

أ.د. عبد العزيز بن راشد السنيدي (جامعة القصيم)

أ.د. غيثان بن علي جريس (جامعة الملك خالد)

أ.د. محمد بن منصور حاوي (جامعة الملك خالد)

المراسلات:

- تُوجه المراسلات لرئيس تحرير المجلة على العنوان الآتي: المملكة العربية السعودية، أبها، جامعة الملك خالد، كرسي الملك خالد للبحث العلمي. فاكس: 072289241، هاتف 072289241، بريد إلكتروني jhc@kku.edu.sa

شروط النشر:

- تُرسل البحوث عبر الموقع الإلكتروني للمجلة https://itcsvc.kku.edu.sa/KKU_ScientificJournals/، وفق الشروط الآتية: -
- عدم تعارض المادة العلمية مع أحكام الشريعة الإسلامية وأنظمة الدولة.
- تقبل المجلة البحوث والدراسات في مختلف التخصصات التاريخية والحضارية.
- يراعى في البحث الأصالة والجدة والجودة في الفكرة والأسلوب والمنهج والتوثيق العلمي والخلو من الأخطاء العلمية واللغوية.
- أن تتضمن ورقة الغلاف باللغتين العربية والإنجليزية: عنوان البحث، واسم الباحث، ولقبه العلمي، وتخصصه، وبريده الإلكتروني، فضلاً عن ملخص البحث (بما لا يزيد عن 200 كلمة) وكلماته المفتاحية باللغتين العربية والإنجليزية.
- يُرسل البحث باللغة العربية أو باللغة الإنجليزية عبر موقع المجلة في نسخة word (A4)، على ألا تتضمن أية بيانات دالة على هُوية الباحث، وألا تزيد صفحات البحث عن (50) ورقة تشمل الجداول والمراجع والملاحق.
- كتابة البحث باستخدام نظام متوافق مع أنظمة الحاسب الآلي، على أن يكون نوع الخط عربيًا تقليديًا Traditional Arabic والبنط (18) للعناوين الرئيسة للبحث، و(16) لمتن البحث، و(14) للهوامش.
- أن تكون طريقة التوثيق في نهاية البحث وفق منهج البحث العلمي المتبع، على أن يتم التعريف بالمصدر كاملاً عند ذكره أول مرة، وغير مطلوب إلحاق قائمة المصادر والمراجع في نهاية البحث.
- يسمح بالتوثيق من المواقع الإلكترونية وفق الشروط والطرائق المنظمة لذلك.
- عند قبول البحث للنشر في المجلة يُزود الباحث بخطاب رسمي مختوم بالموافقة على النشر.
- تُنشر نسخة إلكترونية من أعداد المجلة على موقعها الإلكتروني.
- يتم ترتيب محتويات المجلة وفقًا لاعتبارات فنية.
- كل ما يُنشر في المجلة يعبر عن رأي كاتبه، ولا يُعد تمثيلاً لوجهة نظر المجلة.

أبحاث العدد

التراث اليوناني في الأقاليم المفتوحة مصدرًا للتاريخ الإسلامي المبكر: دراسة تقييمية للمصادر التي دُوِّنت حتى نهاية العصر الأموي (13–123هـ/ 634–749م)

د. عوض بن عبد الله بن سعد بن ناحي•
جامعة نجران – السعودية

المستخلص:

كانت اللغة اليونانية إحدى اللغات الشائعة في المجتمعات النصرانية في بلاد الشام ومصر وإفريقية خلال عصري الخلافتين الراشدة والأموية. ولذلك لم يكن غريباً أن تكون إحدى لغات التأليف بين رجال الكنائس النصرانية التي أنتجت تراثًا احتفظت به مكتبات تلك الكنائس قبل نشر الكثير من مخطوطاتها حديثًا. وبالتالي مثّل هذا التراث مصدراً مهماً للتاريخ الإسلامي المبكر، ذلك أن مؤلفي هذا التراث كانوا شهود عيان على التحولات السياسية، والدينية، والفكرية التي مرت بها الأقاليم المفتوحة طوال أكثر من قرن، فقد دوّنوا معلومات مهمة عن الرسول ﷺ، وبعض وقائع الفتوحات الإسلامية، وبيت المقدس فضلًا عن آرائهم المبكرة في المسلمين والدين الإسلامي نفسه.

ولقد أدرك الكثير من الباحثين الغربيين في التاريخ الإسلامي المبكر أهمية هذا التراث فعملوا على توظيفه في الكثير من نقاشاتهم عن قضايا تلك المرحلة المبكرة من تاريخ الإسلام. لكن ثمة حقيقة لا يمكن تجاوزها فمعظم هذا التراث اليوناني كان لاهوتيًّا أكثر من كونه تاريخيًّا، فحفل بالكثير من الإشكاليات التي تجعل من قيمته موضوع سؤال جدير بالبحث والتمحيص والتقييم من حيث دقة معلوماته، وموضوعيته، وأهميته، وقيمته للمرحلة المبكرة من تاريخ الإسلام بالمقارنة مع أنواع أخرى من المصادر النصرانية التي تناولت الحقبة الزمنية نفسها.

الكلمات المفتاحية: الإسلام – النصرانية – اليوناني– المسلمين – السراقنة – النصارى.

The Greek literature in the Conquered Regions as A Source for Early Islamic History: An Evaluation Study of The Sources that were recorded until the End of the Umayyad Era (13-123 AH/ 634-749 CE)

ʿAwad Ibn Abdullah Ibn Saʿad Ibn Nahee
Najrān University – Saudi Arabia
aaalasiri@nu.edu.sa

Abstract

The Greek was one of the most common languages among Christian communities in the Syria, Egypt, and Ifriqiya during the eras of the Rashidun and Umayyad Caliphates. Therefore, Greek was regarded as a language of an active writing movement among the clergies of the Christian churches, which produced a literature that was preserved in those churches before publishing a significant number of their items. Therefore, this Greek literature represented as a source of early Islamic history because the writers of this literature were contemporary to political, religious and intellectual changes occurring over those conquered regions during more than a century. They record important details about the Prophet Muḥammad – peace be upon him-, some episodes of Islamic conquests, early Islam in Jerusalem in addition to their early reflections about Muslims and Islam itself.

As a result, Western scholars of early Islamic history realize the significance of this Greek literature and employ it in their debates about this period of Islamic history. However, most Greek literature was theological rather than historical works. Thus, it involves of many problems that make it a question of study, evaluation in terms of the accuracy of information, objectivity, importance and its value for the early Islamic history in comparison to other types of Christian sources that dealt with the same period.

Keywords: Islam - Christianity - Greek - Muslims - Saracens – Christians.

التمهيد *

على الرغم من أن قرار تعريب الدواوين كان له أكبر الأثر في انتشار العربية بوصفها لغة كتابة رسمية في أقاليم الدولة الإسلامية المفتوحة،[1] إلا أن اليونانية بقيت إحدى اللغات الشائعة إلى جانب السريانية والقبطية في أوساط كثير من رجال الكنائس النصرانية في مصر والشام حتى العصر العباسي الأول (132–232هـ/ 750– 847م) رغم انحسارها التدريجي أمام اللغة العربية الفتية وقتها.[2] لكن تلك المصادر التي كُتبت خلال عصري الخلافة الراشدة (11– 41هـ/ 632– 662م)، والعصر الأموي (41– 132هـ/ 662– 750م) مثّلت أهمية قصوى للتأريخ لتلك التحولات السياسية، والدينية والثقافية التي شهدتها الأقاليم المفتوحة، ذلك أن مؤلفيها كانوا شهود عيان على تلك الحقبة المبكرة من تاريخ الإسلام في وقت كانت حركة التدوين التاريخي عند العرب المسلمين لا تزال في البدايات.

ولقد أدركت المدرسة الغربية مبكرًا أهمية التراث النصراني الشرقي عامة، واليوناني بشقيه البيزنطي والشرقي كمصدر مهم للتاريخ الإسلامي المبكر لكن توظيفه كان متبايناً بحسب الأسئلة التي عالجتها تلك الدراسات. سنجد أن قائمة مؤرخين –مثل باتريشا كرون Patricia Crone ، ومايكل كوك Michael Cook، ويهودا نبو Yehuda D. Nevo، وجودث كورين Judith Koren، وفريد دونر Fred Donner، وستيفان شوميكر Stephen Shoemaker- تناولوا هذا التراث في سياق محاولاتهم المعروفة لإعادة تصوير التاريخ الإسلامي المبكر خارج سياقه التقليدي المعروف[3]. لكن دراسات أخرى بدت أكثر اتزانًا حينما ركّزت على بحث جوانب محددة، ولعل من أهمها بحثًا قيّمًا تناول فيه جون هالدون John Haldon أهمية ما كتبه راهب دير القديسة كاثرين Saint Catherine's Monastery بسيناء، أنسطاسيوس السينائي Anastasius of Sinai (توفي بعد عام 700م/ 80هـ)، من رسائل ومواعظ كمصدر مهم لأواخر القرن السابع الميلادي/ الأول الهجري[4].

وتبدو دراسة روبرت هويلند *Robert G. Hoyland* أهم دراسة سلطت الضوء على ذلك التراث؛ ذلك أنه سعى لأن يجعل منها وعاءً لكل ما كتبته الأمم الأخرى عن الحقبة المبكرة من تاريخ الإسلام، فخصص الفصل الثالث من أطروحته التي نال بها الدكتوراه من جامعة أكسفورد للمصادر اليونانية التي تناولت هذا الشأن، ووثّق كل ما وقع بين يديه من تلك المصادر، مع التعريف بها، وترجمة ما احتوته من نصوص عن العرب والإسلام[5].

وفي موضوع دراستنا الحالية، تبرز أهمية التراث اليوناني المدون في معاصرته لأهم التحولات السياسية، والدينية، والحضارية التي مرت بها جزيرة العرب وبلاد الشام ومصر وغيرها من بقاع قلب العالم القديم منذ ظهور الإسلام، وانطلاقة حركة الفتوحات الإسلامية الأولى، فحفظ لنا مثل هذا التراث كمّاً مهمّاً وثمينًا عن مجمل تلك التحولات. ولعل المتصفح للتراث اليوناني الذي كُتب في المرحلة التي سبقت مرحلة الفتوحات

الإسلامية يلاحظ أنه تضمن قراءات لافتة لمستقبل المنطقة تتوقع سقوط الإمبراطورية الفارسية الساسانية، أو تعرُّض الإمبراطورية البيزنطية نفسها لغزوات واسعة. ربما كان مرد تلك التنبؤات المستقبلية إلى انطباعات بعض رجال الكنيسة الدينية البحتة، مثل تلك التي سجلها ثيودور السيكوني Theodore of Sykeon (ت 613م)، وجورج الخزيبي George of Khoziba (ت 630م/ 8– 9هـ)، عن احتمالية غزو الأمم البربرية أقاليم الإمبراطورية البيزنطية بسبب ذنوب أتباع المسيح[6]. وربما تكون قراءة تاريخية فعلية كتلك التي دوّنها المحامي والمؤرخ البيزنطي ثيوفيلاكت سيموكاتا Theophylact Simocatta (ت 630م/ 8– 9هـ)،[7] حينما بشّر بانتقال الحكم من الأكاسرة الفرس إلى "رجال آخرين"،[8] لكن كل ذلك تحقق بالفعل بعد بضع سنوات بعد الفتوحات الإسلامية للعراق.

اكتفى "هويلند" بإثارة تلك الشكوك التي دارت حول مصداقية تدوين ما ورد في سيرتي "ثيودور السيكوني"، و"جورج الخزيبي"، في زمنهما الحقيقي مع الإقرار بمصداقية نص "ثيوفيلاكت سيموكاتا"، دون نقاش أسباب مثل تلك النبوءات.[9] لكن قراءة دقيقة وواسعة لواقع الامبراطوريتين الفارسية والبيزنطية على حد سواء تعطي إجابة معقولة للأسباب التي دفعت مدوني المصادر الثلاثة إلى استقراء مستقبل مخيف للقوتين العظميين. فقد وصل الصراع المذهبي في الإمبراطورية البيزنطية إلى ذروته في عهد الإمبراطور هرقل Heraclius (610 – 641م)،[10]، بعد تبنيه ما عُرف لاحقاً بالمذهب الملكاني (أو الملكي) Melkite،[11] وإطلاق حملة اضطهاد واسعة ضد أتباع مذهب الطبيعة الواحدة، أو المذهب اليعقوبي Jacobite .[12] وفي الوقت نفسه كان الصراع العسكري المرير قد أنهك كلا الإمبراطوريتين اقتصاديًا وسياسيًا ونواحي أخرى كثيرة، فقد دخلت الإمبراطورية الفارسية في حالة عدم استقرار سياسي بسبب الصراع على العرش، بينما كانت الإمبراطورية البيزنطية تعاني ضعفًا اقتصاديًا وعسكريًا واضحًا رغم انتصارها العسكري وقوة الحاكم في البلاد (أي هرقل).[13] بل لم تسلم حدودها الشمالية من غزوات الآفار[14] الذين حاصروا القسطنطينية عاصمة البلاد عام 626م/ 5هـ،[15] وحملات المسلمين العرب المبكرة التي وصلت إلى أطراف بلاد الشام الجنوبية.[16] وبالتالي، فإن كل هذه التفاصيل لابد وأن تكون حاضرة في ذهن من سيتنبأ بمستقبل مخيف للإمبراطوريتين الكبيرتين في ظل واقعهما الصعب.

كل ما سبق يؤدي بنا إلى تلخيص فكرة هذه الدراسة التي تهدف إلى تمحيص ما حملته تلك المصادر من نصوص عن الإسلام المبكر من حيث نوعية المصادر نفسها، ومواضيع النصوص التي تضمنتها، وموضوعية مؤلفيها، ودقة معلوماتهم، فضلًا عن تقييم أهميتها المصدرية لحقبة التاريخ الإسلامي المبكر. وتنحصر مصادر الدراسة على تلك الأعمال التي دُوِّنت في بلاد الشام ومصر وإفريقية التي شملها الفتح الإسلامي المبكر منذ بداية العصر الراشدي وحتى سقوط الدولة الأموية، مع استبعاد غيرها من المصادر التي

كتبها أصحابها في الأقاليم التابعة للإمبراطورية البيزنطية، أو تلك التي يُرجح أنها لم تُؤلف باللغة اليونانية، فضلًا عن مصادر متأخرة كُتبت باليونانية، ولكن خلال العصر العباسي.[17]

1.1- المصادر المبكرة: النبي ﷺ، المسلمون، والفتوحات (13– 42 هـ/ 634– 662م):

إن المتصفح لمصادر التراث اليوناني التي دُوِنت خلال عصري الخلافة الراشدة والخلافة الأموية يجد أن معظم ما توفر منها ينتمي إلى التراث اللاهوتي (الديني) أكثر من التاريخي. ولا غرابة في ذلك فمن كتب هذا التراث هم رجال كنيسة، حيث ألّفوه في عدة أغراض دينية مثل الجدل، والوعظ، وتفسير الكتاب المقدس وغيرها. لكن ذلك لم يمنع مدوّني ذلك التراث اللاهوتي من تضمينه إشارات تاريخية مباشرة وغير مباشرة عن الرسول ﷺ، والمسلمين العرب، والفتوحات، والخلفاء الراشدين –رضي الله عنهم– وبعض أعمالهم في البلاد المفتوحة.

وأقدم مصدر وصلنا في هذا الخصوص رسالة في الجدل اللاهوتي بعنوان: "تعاليم يعقوب *Doctrina Jacobi*" (Teaching of Jacob) كتبها يهودي مُتنصّر في الدفاع عن النصرانية ضد اليهودية في يوليو 634م/ جمادى الأولى 13هـ تقريبًا بعد أن انتقل إلى قرطاجنة Carthage. وفي قصة الحوار الذي دار بين "يعقوب" المتنصّر حديثًا والحبر اليهودي يوستيوس Justus أن شقيقه إبراهيم غادر ميناء قيصرية بفلسطين على متن قارب إلى ميناء تل السمك Sykamina، بالقرب من مدينة حيفاء حيث كان الناس يتناقلون للتو خبر مقتل القائد البيزنطي سرجيس Sergius على يد "السراقنة Saracens"[18]، وكانوا "...يقولون إن هناك نبيًّا قد ظهر وأنه قادم مع السراقنة مبشرًا بظهور الممسوح، وقدوم المسيح...".[19] وتستمر الرواية على لسان إبراهيم، إنه ما أن علِم بظهور "نبي السراقنة" حتى اتجه إلى رجل طاعن في السن كان على علم بالكتاب المقدس فسأله عن حال هذا النبي الذي ظهر مؤخرًا لكنه رفض الاعتراف به متسائلًا: "...وهل يأتي الأنبياء ليحملوا السيف أو عربة الحرب...".[20]

استدعى هذا المصدر اهتمام العديد من الباحثين حديثًا حول مدى أصالته، وأهميته وظروف كتابته،[21] ففي حين اعتبر والتر كيغ Walter Kaegi هذا النص أقدم مصدر بيزنطي أشار إلى النبي ﷺ ورسالته السماوية فضلًا عن كونه أقدم حكم بيزنطي صريح على الإسلام،[22] ذهب باحث آخر إلى اعتبار أن ما ورد في "تعاليم يعقوب" يحمل دلالة صريحة إلى الوعي بالإسلام بوصفه قوة سياسية ودينية مستقلة بخلاف ما تروجه نظرية "المراجعين الجدد/ Revisionist School" حول تشكّل الإسلام المتأخر في عهد عبد الملك بن مروان[23] [24]. بينما ركّز باحث ثالث على علامات نبوة محمد ﷺ كما صوّرها المؤلف، والتي حصرها في أربع مسائل رئيسة، أولها بداية ظهور نبوته بين السراقنة، وثانيها تبنيه للغزو والحرب، بينما يتمثل ثالثها في قوله بعودة المسيح عليه السلام آخر الزمان، في حين كان رابعها "امتلاك مفاتيح الجنة"[25].

وفي رأي الباحث، تظهر قيمة هذا النص في تناوله المباشر لمسألتين رئيسيتين في تاريخ الإسلام المبكر، تتمثل أولها في أنه يقدم لنا أقدم إشارة لمصدر غير إسلامي مكتوب عن الرسول ﷺ حتى وإن لم تتضمن اسمه الصريح على غرار تلك الإشارة التي دوّنها مصدر سرياني كُتب بعد هذا المصدر بعامين تقريبًا (636م/ 15هـ)، والذي عُرِف بـ "جزء في فتوحات العرب Fragment of Arab Conquests".[26] لكن حديث مؤلف "تعاليم يعقوب" عن علامات نبوته ﷺ يبدو لافتًا للاهتمام، فإذا كان ظهوره بين قومه العرب (أو السراقنة كما وصفهم) مسألة مفروغًا منها، فإن إشارته إلى التبشير بعودة المسيح عليه السلام آخر الزمان، ومفاتيح الجنة، وحمل الرسول ﷺ للسيف تشير إلى أن هناك من نقل للمؤلف بعض أحداث السيرة النبوية، وما كان يُحدّث به الرسول ﷺ أصحابه، فقد ثبت في الصحاح والسنن أنه ﷺ أخبر بنزول المسيح آخر الزمان.[27] أما الإشارة لمفاتيح الجنة فيظهر أن ثمة من نقل لمؤلف "تعاليم يعقوب" صورة مغالطة لما رُوي من أحاديث عن مفاتيح الجنة وأشهرها ما ورد في مسند أحمد قول الرسول ﷺ:" مَفَاتِيحُ الْجَنَّةِ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ".[28] والحال أن التصور نفسه ينطبق على أن قيادة الرسول ﷺ للمسلمين في الغزوات الشهيرة وآخرها غزوة تبوك سنة 9هـ/ 630هـ، والتي نُقلت له ولكن بتصور مبالغ فيه، يجعل من الرسول ﷺ قائد جيوش الفتح الإسلامي لفلسطين، أي بعد وفاته ﷺ بعام. كل ما سبق لا يعني تجاوز حقيقة مهمة، فقد هاجم المؤلف الرسول ﷺ ووصفه بالمزيف، رافضًا الفكرة التي روجها بعض يهود عصره من أنه قد يكون المسيح الذي ينتظرون ظهوره حسب زعمهم.

أما القيمة الثانية لهذا المصدر اليوناني المبكر، فتتجسد في كونه أقدم مصدر على الإطلاق يؤرخ لبداية الفتوحات الإسلامية لبلاد الشام، التي بدأت حسب مصادر التراث الإسلامي عام 12هـ/ 633م، أي قبل تدوين نص "تعاليم يعقوب" بعام واحد فقط.[29] فقد سجّل مؤلف "تعاليم يعقوب" نصًّا نادرًا وبالغ الأهمية عن معركة "داثن Dāthin" التي وقعت إلى الجنوب من بلدة قيصرية في إقليم غزة في أواخر العام 12هـ/ فبراير 634م وانتهت بهزيمة الجيش البيزنطي ومقتل قائده "سرجيوس (أو سرجيس) Sergius" البطريق.[30]

وتمثل كتابات "صفرونيوس Sophronius"، (ت 17هـ/ 638م)، أسقف بيت المقدس عشية الفتح الإسلامي للمدينة المقدسة عام 16 هـ/ 637م،[31] مصدرًا آخر يسجّل حقيقة موقف رجل الكنيسة الذي استقبل الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وتولى مفاوضات تسليم بيت المقدس للفاتحين المسلمين.[32] فقد عبّر رجل الكنيسة المقدسية عن موقفه المندد بغزوات "السراقنة" في أكثر من مناسبة كانت أقدمها "الرسالة المجمعية Synodical Letter"، التي بعث بها عقب توليه كرسي البطريركية عام 13هـ/ 634م إلى بابا روما "هونريوس الأول Honorius I" (ت 17هـ/ 638م)، وبطريرك القسطنطينية "سيرجيوس الأول Sergius of Constantinople" (ت 17هـ/ 638م). ففي معرض حديثه عن الأوضاع الصعبة التي يعيشها العالم النصراني، وجه صفرونيوس دعوته لرجلي الكنيستين الشرقية والغربية على حد سواء بأن يتضرعا إلى

الله ليمنحهم النصر على "....كل البرابرة، وخاصة السراقنة، وأن يحطم فخرهم، فبسبب ذنوبنا نهضوا ضدنا هذه الأيام فجأة، فغنموا كل شيء بوحشية وقسوة...".[33]

وفي "موعظة عيد الميلاد Homily on the Nativity" التي ألقاها في بيت المقدس في ديسمبر 634م/ 13هـ، أرجع "صفرونيوس" سبب نكبات أبناء ملته إلى ذنوبهم العظيمة، وتفرقهم، وصراعاتهم، فلا يجمعهم على حد تعبيره "... إلا الخوف من السراقنة ..."، مشبهًا حالهم بما وقع لآدم عليه السلام حينما أخرجه الله من الجنة فحُرِم دخولها. وكذلك كان حال أهل ملته من النصارى حينما حُرِموا من "بيت لحم"[34] التي وقعت في قبضة المسلمين العرب حينها، حيث وصف موقف عجز قومه في الدفاع عنها قائلًا "... لم نرَ سيفًا ملتويًا ومشتعلًا، بل سيف المتوحشين، والبرابرة السراقنة، المليء بكل وحشية شيطانية، يثير الخوف ويجلب الموت إلى النور...".[35]. ويشير في موضع آخر من خطبته إلى استيلاء " ... جيش السراقنة الآن على بيت لحم المقدسة، ولم يسمحوا لنا بدخولها، لكنهم يهددوننا بالذبح والدمار إذا خرجنا من هذه المدينة المقدسة، وتجرأنا على الاقتراب من بيت لحم المقدسة".[36] وسنجد أن بطريرك الكنيسة الملكاني ينادي في موضع آخر من خطبته بالتمسك بـ: "...الإيمان الحقيقي والأرثوذكسي حتى نكسر سيف الإسماعيليين، ونرد خنجر السراقنة، ونحطم قوس الهاجريين ...". وفي ختام خطبته دعا "صفرونيوس" المجتمع النصراني إلى الاحتفال بهذا العيد، والعمل على تطهير أنفسهم بالتوبة وتجنب ما يغضب الله، وحينها "... سنفرح بسقوط أعدائنا السراقنة، ونشهد دمارهم النهائي...".[37]

أما المصدر الثالث فيتمثل في خطبته التي ألقاها بمناسبة "عيد الغطاس Homily on the Epiphany" في يناير 636م/ 14هـ، حيث بدا واضحًا أن "صفرونيوس" لم يخرج عن التصور نفسه الذي تشكّل بوضوح عن السراقنة كعدو مدمر، فطرح عدة تساؤلات عن أسباب ذلك الخراب الذي حَلَّ بأتباع ملته قائلًا: "... لماذا تكثر غارات البرابرة؟ لماذا تنهض ضدنا جيوش السراقنة؟ ..."، معتبرًا أن ذلك كان "رجس الخراب الذي تنبأ به الأنبياء، حينما اقتحموا (أي السراقنة) الأماكن المحظورة عليهم، ونهبوا المدن، ودمروا الحقول، وأحرقوا القرى، وأشعلوا النار في الكنائس المقدسة، قلب الأديرة المقدسة".[38]

حظيت نصوص صفرونيوس الثلاثة باهتمام أكثر من مؤرخ معاصر، فقد اعتبر هويلند أن لجوء البطريرك لإلقاء موعظة عيد الميلاد في كنيسة القيامة، فضلًا عن تصريحه بعجز قومه عن الذهاب إلى "بيت لحم" يحمل دلالات تاريخية مهمة على قرار اتخذه الفاتحون المسلمون بمنع الحجاج النصارى من القدوم إلى بيت لحم في أعياد الميلاد.[39] أما شوميكر فقد رأى في نص "موعظة الميلاد" دليلًا قيّمًا يؤرخ لبعض مراحل الفتح الإسلامي لفلسطين مع نهاية العام 634م/ 13هـ. كما لاحظ نبرة تفاؤل واضحة في خطبة صفرونيوس الأخيرة بانتصار الإمبراطورية البيزنطية على المسلمين العرب وإخراجهم من الأراضي المقدسة؛ وهو الأمل

الذي تلاشى تمامًا بمجرد اكتمال سيطرة العرب على فلسطين عام 19هـ/ 640م، أي بعد خطبة صفرونيوس الأخيرة بأربع سنوات تقريباً.[40]

وفي دراستنا الحالية، تبرز أهمية ما حملته المصادر الثلاثة من إشارات تاريخية في أكثر من مسألة تناولتها مصادر التراث الإسلامي، وفي مقدمتها اختلاف المصادر الإسلامية حول التاريخ الفعلي لبداية الفتوحات الإسلامية لفلسطين، والسنة التي تم فيها الفتح الإسلامي لبيت المقدس. فقد ذكر ابن سعد أن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "... خَرَجَ إِلَى الْجَابِيَةِ فِي صَفَرٍ سَنَةَ سِتَّ عَشْرَةَ، فَأَقَامَ بِهَا عِشْرِينَ لَيْلَةً يَقْصُرُ الصَّلَاةَ، وَحَضَرَ فَتْحَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ وَقَسَّمَ الْغَنَائِمَ بِالْجَابِيَةِ، وَخَرَجَ بَعْدَ ذَلِكَ فِي جُمَادَى الْأُولَى سَنَةَ سَبْعَ عَشْرَةَ..."[41] ويتفق معه البلاذري ولكن برواية مختلفة يذكر فيها أن أبا عبيدة بن الجراح قدم إلى عمرو بن العاص وهو بفلسطين "...في سنة ست عشرة وهو محاصر إيلياء، وإيلياء مدينة بيت المقدس، فيقال: إنه وجهه إِلَى أنطاكية من إيلياء وقد غدر أهلها ففتحها، ثُمَّ عاد فأقام يومين أو ثلاثة ثُمَّ طلب أهل إيلياء من أَبِي عُبَيْدة الأمان والصلح عَلَى مثل ما صولح عَلَيْهِ أهل مدن الشام من أداء الجزية والخراج والدخول فيما دخل فيه نظراؤهم عَلَى أن يكون المتولي للعقد لهم عُمَر بْن الخطاب نفسه، فكتب أَبُو عُبَيْدة إِلَى عُمَر بذلك فقدم عُمَر فنزل الجابية من دمشق ثُمَّ صار إِلَى إيلياء فأنفذ صلح أهلها وكتب لهم به، وكان فتح إيلياء في سنة سبع عشرة".[42] أما اليعقوبي فقد اتفق ضمنيًا مع ابن سعد والبلاذري على أن الخليفة عمر بن الخطاب خرج "... في رجب سنة ست عشرة، فنزل الجابية من أرض دمشق ثم صار إلى بيت المقدس، فافتتحها صلحًا، وكتب لهم كتابًا..." غير أنه لم يحدد زمن وصول الخليفة إلى بيت المقدس وتاريخ استلامه المدينة.[43] في حين يتفق أبو زرعة الدمشقي والطبري بوضوح "... أَنَّ فَتْحَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ سنة ست عشرة".[44]

وفي مسألة أخرى، تبين لنا نصوص صفرونيوس شيئًا من موقف رجال الكنيسة المعبر عن الإحباط من الهزائم المتتالية للجيوش البيزنطية في فلسطين وعجزها عن الدفاع عن مدن كبرى مثل بيت المقدس وبيت لحم. لكن طبيعة هذه النصوص اللاهوتية وعدم تضمينها تواريخ دقيقة لتسلسل الأحداث على غرار الحوليات اليونانية أو السريانية لم تساعد في حسم خلاف المصادر التاريخية الإسلامية حول التاريخ الدقيق لفتح أهم المدن الفلسطينية، أي بيت المقدس، رغم أن رجل الكنيسة نفسه كان من تولى مفاوضات تسليم المدينة سلمًا للخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه. غير أن ثمة أهمية تحملها نصوص صفرونيوس، والمتمثلة في وصفها الواقع العسكري لجيوش الفتح الإسلامي على أرض فلسطين، إذا يدل خطاب صفرونيوس في موعظة عيد الميلاد على أن بيت لحم قد أصبحت تحت قبضة الجيوش الإسلامية الأولى التي دخلت فلسطين بقيادة عمرو بن العاص قبل نهاية عام 634م/ 13هـ، وهو ما صمتت عنه المصادر

الإسلامية والسريانية على حد سواء؛ حيث لم تورد تاريخًا محددًا لفتح المدينة المقدسة، مما يعلي من القيمة التاريخية لنص الخطبة الدينية كمصدر منفرد لتاريخ فتح بيت لحم.[45]

ويعد كتاب "مرج الروح Spiritual Meadow" المنسوب إلى يوحنا موسكوس John Moschus (ت 619م أو 634م/ 13هـ)،[46] صديق صفرونيوس، واحدًا من أقدم المصادر اليونانية عن موضوع الدراسة. والكتاب عبارة عن مجموعة من قصص القديسين والرهبان والزهاد وبطاركة الكنائس الشرقية، فضلًا عن بعض الأباطرة البيزنطيين. وتبرز أهمية هذا الكتاب في أن من نُسب إليه عاش معظم حياته متنقلًا بين فلسطين ومصر قبل أن ينتهي به المطاف في روما حيث توفي بها.وبالتالي فقد تضمن هذا الكتاب معلومات مهمة عن أحوال المنطقة قُبيل الفتح الإسلامي، وإشارات صريحة للفتوحات الإسلامية المبكرة لفلسطين تحديدًا، إذ يروي مؤلف الكتاب على لسان "ثيودور رئيس الشمامسة" قوله: "...لقد دخل السراقنة مدينة المسيح المقدسة ... أورشليم بمشيئة الله عقابًا لنا على ذنوبنا التي لا تحصى، واتجهوا إلى المكان الذي يسمى جبل المعبد، وأخذوا بعض الرجال قسرًا والبعض الآخر طواعية لتنظيفه، وبناء ذلك المكان .... حيث جعلوه للصلاة وكانوا يسمونه مسجدًا...".[47]

لا يختلف هذا النص عن معظم النصوص السابقة في أكثر من مسألة، في مقدمتها قيمته التاريخية، إذ يقدم لنا أقدم نص تاريخي يشير صراحة إلى بناء مسجد عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الحرم القدسي وكيفية بنائه، وهي معلومات لا نكاد نقرؤها إلا في القليل من المصادر الإسلامية، فقد ذكر الواقدي على سبيل المثال أن أمير المؤمنين "... أقام بها (أي بيت المقدس) إلى يوم الجمعة وخط بها محرابًا من جهة الشرق وهو موضع مسجده ....".[48]. بينما أشار المقدسي باختصار شديد، في معرض حديثه عن فتح بيت المقدس، إلى أن الخليفة عمر بن الخطاب"...بنى بها مسجدًا (أي في بيت المقدس)...".[49] أما ثاني مسألة يتفق بها مع سابقيه، وتحديدًا مع صاحب "تعاليم يعقوب" و"صفرونيوس"، فيتجسد في صياغة السبب نفسه في انتصار المسلمين المتمثل في "ذنوب أتباع المسيح". بينما تمثلت المسألة الثالثة في التعبير عن موقف مؤلف هذا النص المعادي للفاتحين المسلمين ودينهم الجديد، حينما وصفهم صراحة بال "كفار" ورأى في المسجد رمز عبادة معاديًا للوجود النصراني.

ويعد "مكسيموس المعترف Maximus the Confessor "(ت 42هـ/ 662م)،[50] أحد أقدم رجال الكنيسة الذين أشاروا إلى الفتوحات الإسلام في رسائله اللاهوتية، رغم قلة التفاصيل التي دوّنها في هذا الشأن. ففي رسالته الرابعة عشرة إلى "بطرس"، وهو أحد المسؤولين البيزنطيين في ولاية نوميديا Numidia (المغرب العربي أو شمال أفريقيا حاليًا) يتساءل الراهب البيزنطي عمّا"...هو أكثر خطورة من الشرور التي تحدق بالعالم اليوم؟ ما هو أشنع لمن يفهم من الأشياء التي تجري؟ ما هو الأكثر إثارة للشفقة والخوف لمن يتحملونها؟ أن ترى هذا الشعب البربري من الصحراء يجتاح أرض الآخرين وكأنها ملكهم! ولرؤية هذه

الدولة (أي الإمبراطورية البيزنطية) المتحضرة تلتهمها الوحوش المتوحشة الهائجة، التي لا تظهر إلا بشكل بشري..."[51].

وهكذا سنجد أن هذه المصادر بقدر ما وفرت معلومات مهمة عن بدايات الفتوحات الإسلامية، حيث تنحصر أكثرها عن فتوحات فلسطين، فإنها عبّرت بوضوح عن الموقف المعادي للمسلمين العرب، وذلك أمر طبيعي في مثل هذه الصراعات التي تحضر فيها الروح الدينية بوضوح، فضلًا عن فقدان نظام سياسي حكم تلك الأقاليم لعدة قرون. واللافت أن ثمة إجماعًا بين هؤلاء على أن سبب تلك الغزوات حسب تعبيرهم ينحصر في ذنوب الأمة النصرانية.

2.1- مصادر القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي. العقائد والممارسات:

مع استقرار الحكم العربي الإسلامي في الأقاليم المفتوحة، والتحول التدريجي في الهوية الدينية واللغوية والحضارية لهذه الأقاليم، لابد أن ثمة تغيرات طرأت على التراث اليوناني المكتوب في مواضيعه وقضاياه التي تناولت أكثر من شأن، وفي مقدمتها الشأن الديني، فضلًا عن بعض أخبار الفتوحات والحملات العسكرية المتأخرة، وأحوال بعض المدن الإسلامية في تلك الحقبة. ولعل من أهم الشخصيات الكنسية التي تركت تراثًا مهمًا في الأوساط النصرانية أنسطاسيوس السينائي Anastasius of Sinai (ت بعد 80هـ/ 700م)، أحد رهبان دير القديسة كاثرين بسيناء Saint Catherine's Monastery.[52] فقد ألف هذا الراهب عددًا من رسائل الجدل اللاهوتية، والمواعظ الدينية، وقصص القديسين التي تضمنت إشارات مهمة عن الإسلام والعرب في عصره.[53]

وعلى الرغم من أن معتقدات المسلمين لم تكن من أولويات الراهب السينائي في جدالاته اللاهوتية، إلا أن ثمة نصوصًا تؤكد أن هذا الرجل كان على اطلاع على مفهوم التوحيد في الإسلام، وفهم لمسائل اختلافاته الرئيسية مع النصرانية على حد تعبير "جريفيث *Griffith* " الذي درس تراثه اللاهوتي.[54] وبالاطلاع على تراث أنسطاسيوس، نقرأ أول نص ترجم جريفث عنوانه بـ "الدليل إلى السبيل The *Hodegos*"، وفيه يصرّح الراهب "الخلقدوني" بمسائل خلافية رئيسية بين الإسلام والنصرانية قائلًا: "... إذا رغبنا في مناقشة العرب، فإننا يجب أولًا أن نُدين من قال بإِلٰهَيْنِ أو من قال إن الله قد ولد ابنًا، أو كل من يعبد أي نوع من المخلوقات، سواءً في السماء أو على الأرض..."[55] وجد هذا النص اهتمًا لافتًا في النقاشات الغربية المعاصرة، فقد خرج هويلند منه بأكثر من دلالة تاريخية، وفي مقدمتها أن أنسطاسيوس دخل في مناظرات دينية مع المسلمين، إحداها كانت في الإسكندرية، وثانيها أن هذا النص يشير إلى أهم المسائل الخلافية الإسلامية– النصرانية الجوهرية، وهي رفض القول بأن "المسيح ابن الله" والتأكيد على بشريته عليه السلام، فضلًا عن أن ما ورد في هذه الرسالة يؤكد على إدراك "أنسطاسيوس" لهذه المسألة الخلافية الأهم بين الإسلام والنصرانية.[56]

أما شوميكر فيتفق مع هويلند في أن هذا النص يلخص انتقادات الإسلام الرئيسية لنصارى ذلك العصر، خاصة في مسألة السيد المسيح عليه السلام، لكنه يذهب إلى أكثر من استنتاج لهذا النص، في مقدمتها أنه تضمن واحدة من أقدم الإشارات الصريحة إلى العرب بمسماهم التاريخي "عرب"، وثانيها يتمثل في تطور الهوية الدينية لمن درج على تسميتهم في كتابه بـ "أتباع محمد Muhammad's followers"، ويقصد بذلك المسلمين. ويتمثل ثالثها فيما عبّر عنه من أن النصارى وجدوا أنفسهم مضطرين لأن يشرحوا للمسلمين "...أنهم في الحقيقة لا يؤمنون بإلهين، ولا أن الله قد ولد المسيح جسدًا، وأنهم لا يعبدون مخلوقًا...".[57]

والواقع أن ما ذكره الباحثان جدير بالقبول باستثناء مسألة تطور الهوية الإسلامية التي زعمها شوميكر، ذلك أنه في كتابه الذي طرح فيه هذه الاستنتاجات "نبي قد ظهر" أعاد إنتاج نظرية "المراجعين الجدد" التي تزعم أن الإسلام مرَّ بمرحلة طويلة من التطور قبل أن يتشكل بمفهومه الحقيقي دينًا وهوية، حيث تبنى شوميكر إطلاق مصطلح "أتباع محمد" وصفًا للمجتمع الإسلامي في القرن السابع، مجاراة لمن سبقه مثل "باتريشا كرون" و"مايكل كوك"، اللذين تبنيا مصطلح "الهاجريون Hagarenes"، و"فريد دونر" الذي اقترح مصطلح "المؤمنين The Believers".[58]

وبعيدًا عن هذا الخلاف فإن أهمية هذا النص تتجسد في كونه أحد أقدم النصوص النصرانية التي أشارت إلى جوهر التوحيد في الإسلام وهو الإيمان بالله الواحد الأحد بلا ولد ولا شريك له في العبادة، وهي إشارة غير مباشرة للتصور الإسلامي للمسيح عليه السلام بأنه بشر سوي. وتبرز أهميته أيضًا في كونه يعبر عن فهم رجل الكنيسة الخلقدوني لهذه المسائل الجوهرية في الخلاف الإسلامي–النصراني، إذ سنجده يدعو أبناء ملته إلى حوار المسلمين على أساس ذلك كله.

ويعود أنسطاسيوس لنقاش الجوانب العقائدية بين الإسلام والنصرانية في مجموعة رسائله المعنونة بـ "المسائل والأجوبة Questions and Answers" قائلًا:"يرغب البعض القول إن الشيطان طُرِد لأنه لم يسجد لآدم. إن مثل هذه الخرافات الساذجة تنتمي إلى الوثنيين والعرب، فإنه يمكن للمرء أن يتعلم من الأنبياء، وخاصة من حزقيال، فإن الله أخرج الشيطان بسبب كبريائه قبل خلق آدم. عندما كان الله يصوغ هذا الكائن البصري، اعتقد الشيطان أن الله سيجعله سيدًا، لذا عندما رأى أن الله قد خلق آدم وجعله فوق أعمال يديه، وأخضع كل شيء تحت قدميه، استعدى آدم وخدعه".[59]

ينبه شوميكر إلى أن أنسطاسيوس كان يقصد ما ورد في الآية الكريمة: {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ}،[60] لكنه عبّر عن رفض بعض نصارى تلك الحقبة لصيغة هذا الحوار بين الله والشيطان، لأنها وردت بصيغة مختلفة في العهد القديم.[61] وعلى كل حال، فقد

وجدت قضايا الجدل الإسلامي – النصراني التي حفلت بها كتابات أنسطاسيوس، عناية باحث غربي رأى فيها دليلًا على تطور مبكر في العقيدة الإسلامية التي برزت من خلال تلك المناظرات المبكرة.[62]

وفي رأي الباحث، فإن نقاشات أنسطاسيوس العقائدية السابقة تقودنا إلى عدة استنتاجات مهمة، وفي مقدمتها تطور وعي بعض رجال الكنيسة النصارى بمسائل رئيسية في الإسلام، في مقدمتها جوهر التوحيد في الإسلام المتمثل في وحدانية الخالق عز وجل، وبشرية المسيح في الإسلام. ثانيها إلمام أنسطاسيوس ببعض ما ورد في القرآن الكريم عن مسائل مشتركة بين الأديان السماوية مثل قصة آدم عليه السلام وإبليس. أما ثالث هذه الاستنتاجات، وأهمها في رأي الباحث، فيتمثل في أنه بقدر ما تطور وعي رجال الكنائس الشرقية بالدين الإسلامي في العصر الأموي، فإننا لا نجد في المسائل التي تناولها أنسطاسيوس ما يمكن اعتباره تطورًا في الدين الإسلامي بحسب نظرية "المراجعين الجدد".

وتمثل مسألة الفتوحات الإسلامية أحد المحاور التي تناولتها أعمال أنسطاسيوس في عدة مناسبات؛ فقد تضمنت مجموعة رسائله المعنونة بـ "حكايات تنويرية Edifying Tales"، مجموعة من الإشارات التاريخية المختلطة بالحكايات الأسطورية والغارقة في التصور السلبي لكل ماهو عربي أو مسلم. وفي مقدمة ذلك التفسير النصراني المبكر لأسباب تلك الفتوحات والانتصارات المتتالية التي حققها المسلمون في تلك المرحلة. ففي مجموع ""المسائلة والأجوبة" يجيب رجل الكنيسة عن السؤال القائل: "...هل صحيح أن كل الشرور التي يقوم بها العرب ضد البلاد والشعوب النصرانية كانت جميعها بأمر الله؟ الجواب بالتأكيد لا! حاشا لله أن نقول إنه حثهم على رمي ودوس الجسد والدم المقدس، أو على آثار رسله القديسين والشهداء...".[63]

يعيد أنسطاسيوس في هذا النص الشعور النصراني السائد نحو تفسير الفتوحات الإسلامية المبكرة على أنها مشيئة إلهية، لكنه يرفض أن تكون هذه المشيئة بسبب ذنوب قومه أو أسلافهم. غير أنه يعود ليناقض نفسه في أحد نصوص المواعظ الأخرى المنسوبة إليه، والذي يحمل أبعادًا مهمة نحو التأويلات النصرانية المبكرة للفتوحات الإسلامية، ويتحدث فيه قائلًا:" عندما مات هرقل، قام حفيده بنفي مارتن، وحينها ظهر العماليق (يقصد العرب المسلمين) ساكني الصحراء ليقهروا أتباع المسيح. كانت تلك أول هزيمة فظيعة ومميتة للجيش الروماني (البيزنطي). إنني أتحدث هنا عن إراقة الدماء في الجابية واليرموك وداثن،[64] وما تبعها من استيلائهم على مدن فلسطين حتى قيصرية والقدس. ثم كان هناك دمار مصر، وتبعه استعباد ودمار مهلك لبلدان وجزر البحر الأبيض المتوسط والإمبراطورية الرومانية. لكن الحكام والسادة الرومان لم يدركوا كل ذلك. وبدلًا من ذلك، استدعوا أبرز رجال الكنيسة الرومانية وقطعوا ألسنتهم وأيديهم. ثم ماذا بعد؟ إن عقاب الله علينا من هؤلاء كان خسارة شبه كاملة للجيش والبحرية الرومانية في فينوكس (ذات الصواري)، وتفاقم الخراب على جميع الشعوب والديار النصرانية...".[65]

يؤرخ الراهب الخلقدوني في هذا النص للمعارك الأولى للفتح الإسلامي لبلاد الشام، مسميًا ثلاث معارك رئيسية كانت بالفعل مهمة وحاسمة ذلك الصراع، ونقصد بذلك معارك داثن، واليرموك، وأجنادين. ثم إن أنسطاسيوس يعود في هذا النص ليرسخ للتفسير نفسه الذي ردده من سبق تناولهم في هذه الدراسة، مثل صفرونيوس ومكسيموس المعترف، حول السبب وراء تلك الهزائم المتكررة التي مُنيت بها بيزنطة والشعوب النصرانية، والذي يتجسد حسب تصورهم في "آثام أتباع المسيح". لكنه يزعم أن هذا العقاب شمل هذه المرة الإمبراطورية البيزنطية بهزائمها أمام المسلمين العرب، وهو الشعور نفسه الذي روّج له كثير من مؤرخي تلك الحقبة الزمنية مثل "يوحنا بن الفنكي John bar Penkāyē "، (ت حوالي 67هـ/687م)،[66] و"يوحنا النقيوسي John of Nikiū" (ت بعد 81هـ/ 700م)،[67] و"جيفوند الأرمني *Ghevond*" [68] (توفى بعد 157هـ/ 774م).[69]

إلا أن ثمة خللًا واضحًا في المعلومات التاريخية التي يوردها أنسطاسيوس، ويتمثل في ذلك الخلط الواضح في ترتيب أباطرة بيزنطة، فالثابت تاريخيًا أن "هرقل الكبير" هو من تلقى الهزائم الأولى التي أشار لها الراهب الخلقدوني، وليس حفيده الإمبراطور "كونستانس الثاني Constans II ". والأخير هو من قام بنفي "البابا مارتن الأول Pope Martin I " إلى مدينة "خيرسون Chersonesus " جنوب غربي القرم، حيث توفي بها عام 35هـ/ 655م.[70] والحق إن باحثًا غربيًا شخّص هذا الخلط التاريخي بضعف معرفة أنسطاسيوس بالتاريخ الكنسي والعلماني لعصره مقارنة مع اهتماماته اللاهوتية الواسعة مما كان له أثره في معلوماته التاريخية المضطربة، مرجحًا اعتماده على مصادر شفهية غير موثوقة، فضلًا عما تحتفظ به ذاكرته الشخصية من معلومات غير دقيقة عن تاريخ النصرانية الشرقية والإمبراطورية البيزنطية في تلك الحقبة.[71]

وفي موضع آخر، يدوّن رجل الكنيسة نصًا مضطربًا عن بعض وقائع الفتح الإسلامي لجزيرة قبرص، قائلًا: "عندما دخل السراقنة "قسنطينية Constantia"، انفجر قبر "أبيفانيوس Epiphanius" على الفور بالمر مثل النافورة، فملأ ما مقداره أكثر من ثلاثمائة وعاء حتى امتلأت الأرضية المقدسة (يقصد المزار الذي يقع فيه القبر) بهذا المر. وكان السراقنة يأخذون منه لرائحته الطيبة، وليس لأنهم آمنوا بقداسته، بل من باب السرور بالمر...إن هذه المعجزة لم تحدث في قسنطينية فحسب، بل حدثت أيضًا في "نيابوليس Neapolis" بالقرب من "نيميسوس Nemesos"، فعندما دخل السراقنة الكنيسة، تدفق على الفور تابوت "تيخيكس Tychicus"، أحد تلاميذ الرسل، لدرجة أن أقدام أولئك الذين دخلوا الحرم غاصت حتى الكاحلين. ورغم أن العرب شاهدوا ذلك، إلا أنهم لم يفهموه، ولم يندهشوا، ولم يؤمنوا. بل اعتبروا هذا الحدث تافهًا...".[72]

ثمة إجماع بين المؤرخين المسلمين على أن معاوية بن أبي سفيان[73] استأذن الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه في ركوب البحر فأذن له، لكنهم اختلفوا في تحديد تاريخ فتح الجزيرة الإستراتيجية بين الأعوام

27هـ/ 647م، و 28هـ/ 648م، و 29هـ/ 649م، أو سنة 33هـ/ 653م[74]. وإذا ما تجاوزنا هذا الخلاف، فإن رواية البلاذري التي نقلها عن الواقدي تُعد الأكثر تفصيلًا ووضوحًا في هذا الشأن، وفيها أن معاوية أعد العدة وانطلق من عكا سنة 28 هـ/ 648م بأسطول كبير " ... إلَى قبرس (قبرص) فأرقوا إلَى ساحلها– وهي جزيرة في البحر يكون فيما يقال ثمانين فرسخا في مثلها– بعث إليهم أرخونها يطلب الصلح وقد أذعن أهلها به، فصالحهم عَلَى سبعة آلاف ومائتي دينار يؤدونها في كل عام، وصالحهم الروم عَلَى مثل ذلك فهم يؤدون خراجين، واشترطوا ألا يمنعهم المسلمون أداء الصلح إلَى الروم، واشترط عليهم المسلمون ألا يقاتلوا عنهم من أرادهم من ورائهم وأن يؤذنوا المسلمين بسير عدوهم منَ الروم، فكان المسلمون إذا ركبوا البحر لم يعرضوا لهم ولم ينصرهم أهل قبرس ولم ينصروا عليهم. فلما كان سنة اثنتين وثلاثين أعانوا الروم عَلَى الغزاة في البحر بمراكب أعطوهم إياها فغزاهم معاوية سنة ثلاث وثلاثين في خمسمائة مركب ففتح قبرس عنوة فقتل وسبى، ثُمَّ أقرهم عَلَى صلحهم، وبعث إليها باثني عشر ألفا كلهم أهل ديوان فبنوا بها المساجد، ونقل إليها جماعة من بعلبك وبنى بها مدينة وأقاموا يعطون الأعطية إلَى أن تُوُفِّيَ معاوية وولى بعده ابنه يزيد فأقفل ذلك البعث وأمر بهدم المدينة وبعض الرواة يزعم أن غزوة معاوية الثانية قبرس في سنة خمس وثلاثين".[75]

إن المتمعن في الرواية الإسلامية يجد أن جزيرة قُبرص فُتحت أكثر من مرة بسبب الثورات المتعاقبة لسكان الجزيرة، الذين بقوا محافظين على ولائهم للإمبراطورية البيزنطية دينيًا وسياسيًا، وهو ما اضطر السلطة الإسلامية لاستخدام القوة وفتح الجزيرة عنوة، فلا غرابة إذًا أن يترك رجل الكنيسة الخلقدوني قبرص إلى الأراضي المقدسة الواقعة تحت الحكم الإسلامي، وهو ما يعطي إشارة غير مباشرة إلى طبيعة الحكم الإسلامي الذي بدا متسامحًا تجاه تنقلات رجال الكنائس النصرانية بين بلاد الروم والبلاد الإسلامية. أما رواية أنسطاسيوس عن دخول المسلمين لقبرص فلا تخلو من الأهمية؛ ذلك أنه حدد عدة مدن قبرصية دخلتها الجيوش الاسلامية بالقوة، لكنه لم يحدد متى وكيف دخلوا، إذ بدت الرواية خالية من تواريخ محددة على غرار ما يرد في الحوليات النصرانية الشرقية على اختلاف لغاتها، فضلًا عن أنه لم يفصّل في استعراض شيء من الصدامات العسكرية أو حوادث العنف التي تقع في مثل هذه الحروب. والواضح أن تركيز أنسطاسيوس على استعراض ما اعتبره معجزات القديسين جعل من هذه الرواية مجرد قصص ديني (Hagiographical text) أكثر منه رواية تاريخية.

وفي الأراضي المقدسة، سجّل "أنسطاسيوس" نصًا مهمًا في الرسالة (C3-II.7) عن بعض يوميات بناء قبة الصخرة التي شاهدها، وأثناء إقامته في بيت المقدس قائلًا: "... حينما كنت أسكن المدينة المقدسة في جبل الزيتون، كان مجموعة من المصريين يقومون بأعمال الحفر في الكابيتول (جبل الهيكل) ...وفي إحدى الليالي استيقظت على صوت الحفر في ذلك المكان وأصوات كثير من الناس يصرخون ويبكون ويلقون الكثير من الأنقاض على الحائط.... ثم أدركت أن ذلك من عمل الشياطين... إنه لمن الضروري ذكر هذه

الأشياء لأولئك الذين يعتقدون أن هيكل الله يُبنى الآن في أورشليم. فكيف يمكن بناء هيكل الله في ذلك المكان؟! وهو مُحرّم على اليهود...".[76]

رغم إقرار شوميكر بأن ثمة إجماعًا على أن هذا النص يشير إلى بناء قبة الصخرة أيام الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان، إلا أنه زعم أن بناء القبة بدأ في أيام الخليفة معاوية بن أبي سفيان حينما كان أميرًا على الشام قبل توليه الخلافة.[77] والواقع أن ما توفر من المصادر الإسلامية أو النصرانية الشرقية على اختلاف لغاتها (السريانية، والأرمنية، والقبطية، واليونانية، والعربية) لا يمدنا بمعلومات تدعم ما ذهب إليه شوميكر. بل نجد أن باحثًا غربيًا سبقه إلى هذا السؤال يعترف أن ثلاثة نصوص سريانية من نصوص النبوءات (Apocalyptic Texts) تُجمِع على أن عبد الملك بن مروان هو من أمر ببناء قبة الصخرة التي أُنجِزت بالفعل حوالي عام 71– 72هـ/ 691م.[78] الواقع أن هذا الاستنتاج هو ما يتفق مع السياق المنطقي للأحداث، إذ لا نجد فيما كتبه مؤرخون سريان، وأرمن، وأقباط أرّخوا لحكم معاوية بن أبي سفيان أو عبد الملك بن مروان ما يشير إلى شيء من هذا القبيل.[79]

إضافةً إلى ما سبق، سنجد أن رحالة إفرنجي يدعى "أركولفوس Arculfus" زار بيت المقدس عام 50هـ/ 670م أيام حكم الخليفة معاوية بن أبي سفيان وصف بوضوح البناء الذي شاهده في المسجد الأقصى قائلًا: "... في ذلك المكان الشهير حيث كان يقف المعبد الذي بُني بروعة في يوم من الأيام، يقع إلى جواره من الجدار الشرقي بيت صلاة مربع الأضلاع يتردد إليه السراقة باستمرار، فقد بنوه بطريقة بدائية من الحجارة والخشب والأعمدة الضخمة التي نقلوها من الأنقاض المجاورة، ويُقال إن بيت الصلاة هذا يتسع لثلاثة آلاف شخص".[80]

رغم أن هويلند اعتبر هذا النص اللاتيني دليلًا على المكانة المقدسة التي تحظى بها القدس عند من وصفهم بـ "المسلمين الأوائل"، لكنه لم يحسم الجدل حول دلالات هذا النص المهم، وما إذا كان الأسقف الإفرنجي يقصد ببيت الصلاة المسجد الذي أمر الخليفة عمر بن الخطاب بتشييده، أم مسجد قبة الصخرة؟.[81] أما شوميكر فقد اعترف أن هذا النص لا يحمل أية دلالة على قبة الصخرة بالرغم من أن البناء في جبل الهيكل بدأ في عهد معاوية.[82] لكن نص أركولفوس لا يحمل أي دلالة على ما ذهب إليه شوميكر ذلك؛ فأركولفوس لم يشر أصلًا إلى نشاط إسلامي قائم على جبل الهيكل، بل إن إشارته إلى ما اعتبره بناءً بدائيًا يذكّرنا بما رواه أحد المصادر الإسلامية من أن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه حينما باشر بناء المسجد العمري: "... جَعَلَ الْمَسْجِدَ فِي قِبْلِيِّ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَهُوَ الْعُمَرِيُّ الْيَوْمَ، ثُمَّ نَقَلَ التُّرَابَ عَنِ الصَّخْرَةِ فِي طَرَفِ رِدَائِهِ وَقَبَائِهِ، وَنَقَلَ الْمُسْلِمُونَ مَعَهُ فِي ذَلِكَ. وَسَخَّرَ أَهْلَ الْأُرْدُنِّ فِي نَقْلِ بَقِيَّتِهَا، وَقَدْ كَانَتِ الرُّومُ جَعَلُوا الصَّخْرَةَ مَزْبَلَةً...".[83] كل هذا يعزز ما نرجحه في هذه الدراسة من أن بناء قبة الصخرة لم يبدأ العمل فيه قبل عهد عبد الملك بن مروان.

ما يسترعي الانتباه، أن قائمة طويلة من مصادر التاريخ الإسلامي المبكرة التي أرّخت للعصر الأموي، مثل طبقات ابن سعد، وتاريخ ابن خياط، وفتوحات البلدان، والأخبار الطوال، والمعارف، لم تذكر شيئًا عن بناء قبة الصخرة رغم استفاضتها في الحديث عن إصلاحاته العمرانية والإدارية الكثيرة. إذ نقرأ أقدم إشارة إلى بناء قبة الصخرة عند المؤرخ اليعقوبي بقوله: "...منع عبد الملك أهل الشام من الحج، وذلك أن ابن الزبير كان يأخذهم، إذا حجوا، بالبيعة، فلما رأى عبد الملك ذلك منعهم من الخروج إلى مكة، فضج الناس، وقالوا: تمنعنا من حج بيت الله الحرام، وهو فرض من الله علينا! فقال لهم: هذا ابن شهاب الزهري يحدثكم أن رسول الله قال: لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي، ومسجد بيت المقدس، وهو يقوم لكم مقام المسجد الحرام، وهذه الصخرة التي يروى أن رسول الله ﷺ وضع قدمه عليها، لما صعد إلى السماء، تقوم لكم مقام الكعبة، فبنى على الصخرة قبة، وعلق عليها ستور الديباج، وأقام لها سدنة، وأخذ الناس بأن يطوفوا حولها كما يطوفون حول الكعبة، وأقام بذلك أيام بني أمية".[84] لكنَّ مؤرخًا مقدسيًا ذكر سببًا مغايرًا مفاده: "...أن عبد الملك لما رأى عظم قبّة القمامة (أي كنيسة القيامة) وهيئتها خشي أن تعظم في قلوب المسلمين فنصب على الصخرة قبّة على ما ترى...".[85]

أما سبط ابن الجوزي فقد وافق اليعقوبي برواية أكثر تفصيلًا في سياق سرده لأحداث عام 72هـ/ 691م، حيث تحدث عن اكتمال "... بناء قُبَّة الصَّخرة والجامع الأقصى، وكان [عبد الملك] شَرَعَ في بنائها سنة تسع وستين، والسببُ فيه أنَّ ابن الزُّبير كان قد استولى على مكة، وكان يخطبُ في أيام منى وعرفة ومُقامِ الناس بمكة، وينال من عبد الملك، ويذكرُ مساوئَ بني أمية... وبلغ عبدَ الملك، فمنعَ الناسَ من الحجِّ، فأقاموا مدَّةً، فضجُّوا، فبنى لهم القُبَّة على الصخرة والجامع الأقصى ليشغلَهم بذلك عن الحجِّ، فكانوا يقفون عند الصخرة، ويطوفون حولها كما يطوفون حول الكعبة، وينحرون يومَ العيد".[86] وهي رواية أيدها مؤرّخان متأخران عند حديثهما عن قصة بناء قبة الصخرة.[87]

وبغض النظر عن السبب الذي دفع الخليفة الأموي لبناء قبة الصخرة، فإن النقش التأسيسي لقبة الصخرة يؤكد صحة الرواية الإسلامية حول قيام عبد الملك بن مروان ببناء القبة في أيام حكمه، في نفس السنة التي ذكرها سبط ابن الجوزي وغيره.[88] وهكذا سنجد أن مزاعم شوميكر لا تصمد أمام الدليل الأثري فضلًا عن النصوص التاريخية الإسلامية وغير الإسلامية.

وعلى كل حال فإن أنسطاسيوس دوّن في رسالته النادرة "عظة عن آلام المسيح Homily on the Lord's Passion"، التي كتبها في الرد على اليهود،[89] إشارة أخرى عن بيت المقدس، ومفادها أن "...المعبد يجري بناؤه الآن..."، وذلك في سياق حديثه عمّا وصفه بحالة الهيكل الذي لا يزال خرابًا على حد تعبيره.[90] يرى شوميكر أن هذه الرسالة تحمل أكثر من قيمة تاريخية، في مقدمتها الزعم بوجود ملحوظ لليهود في بيت المقدس زمن كتابة هذه الرسالة – أي أثناء حكم عبد الملك بن مروان–، إضافة إلى أنها

نقلت لنا انطباع اليهود حينما شاهدوا بناء قبة الصخرة على أنه إعادة إحياء لهيكل سليمان.[91] ومع الأخذ في الاعتبار أهمية ما استنتجه شوميكر، فإن قيمة هذا النص تتمثل في أنه لخّص التفسيرات اليهودية – النصرانية المبكرة تجاه بناء قبة الصخرة، التي لطالما ربطتها بهيكل سليمان. وهو تصور لا نقرؤه في إشارة تاريخية أقدم وردت في النص المنسوب إلى "يوحنا موسكوس John Moschus "كما أسلفنا.

غير أن ثمة استنتاجًا نخرج به من كتابات أنسطاسيوس السابقة عن بناء قبة الصخرة، وقبله يوحنا موسكوس والرحالة الإفرنجي أركولفوس، ذلك أنها تنقل لنا التصوّر النصراني المبكر لماهية المسجد مصطلحًا ومعنى. فإذا كان النص المنسوب إلى يوحنا موسكوس قد نص على أن بيت العبادة الذي أقامه المسلمون في الحرم القدسي كان "مسجداً"، فإن أنسطاسيوس وأركولفوس كانا غير قادرين على تمييز شيء اسمه مسجد، وهو ما يوحي بأن هذا المصطلح لم يكن منتشرًا في أوساط رجال الكنائس النصارى، حاله في ذلك حال مصطلحي الإسلام والمسلمين، حيث بقيت مصطلحات "السراقنة"، و"بني إسماعيل"، و"الهاجريين" الأكثر شيوعًا في أوساط نصارى ذلك العصر حينما يأتون على ذكر المسلمين.

ومن بيت المقدس إلى سيناء، فقد دوّن الراهب النصراني نصًّا نادرًا عن الفتح الإسلامي لشبه جزيرة سيناء يذكر فيه أنه: "عندما خرج السراقنة من أرضهم ... وصلوا إلى جبل سيناء المقدس للسيطرة عليه، فأجبروا سكانه من السراقنة النصارى على الارتداد عن دين المسيح. وعندما سمع هؤلاء الذي كانوا يسكنون الخيام بالقرب من القلعة (الدير) بمجيء هؤلاء السراقنة صعدوا إلى قمة الجبل المقدس لقتالهم... وحينما أدركوا عدم قدرتهم على مقاومة تلك الجموع الغفيرة (من السراقنة)، استسلموا، واعتنقوا دينهم..."[92].

ويمثل هذا النص قيمة تاريخية مهمة ذلك أنه يسجّل لنا إشارة مباشرة للفتح الإسلامي لعمق شبه جزيرة سيناء، التي تكاد مصادر التراث الإسلامي تخلو من أي نص حيال هذه المسألة التاريخية، حتى تلك التي أرّخت للفتح الإسلامي لمصر.[93] واللافت أن النص يؤكد أن من تولى التصدي للمسلمين العرب كانوا من سكان سيناء من القبائل العربية المتنصرة، قبل أن تعتنق هذه القبائل الإسلام. ووجود القبائل العربية في سيناء حقيقة غير مستغربة فقد أشار إليها عدد من المصادر الكلاسيكية، والتواريخ الكنسية.[94] غير أن ثمة إشكالية تُنقص من قيمة النص الذي دوّنه أنسطاسيوس عن الفتح الإسلامي لشبه جزيرة سيناء، ويتمثل في عدم الإشارة إلى تاريخ محدد لواقعة فتح الجيش الإسلامي لهذه المنطقة، وهي إشكالية تكررت في معظم نصوصه السابقة التي خلت من أية تواريخ محددة. لكن الأرجح أن واقعة الفتح تلك كانت مع بداية الفتح الإسلامي لمصر، ذلك أن المؤلف قد ربطه بخروج الجيوش الإسلامية من شبه جزيرة العرب.

وفي خضم هذه المعلومات التاريخية، حرص أنسطاسيوس على نسج الكثير من قصص القديسين التي لا نجد لها أثرًا في التواريخ النصرانية المعاصرة أصلًا، ومنها على سبيل المثال لا الحصر قصة أحد "المخلصين

للمسيح" من سراقنة سيناء النصارى، الذي فضل قتل زوجته وأطفاله والانتحار على دين هؤلاء السراقنة القادمين من جزيرة العرب.[95] وقصة قديس يدعى "جورج الأسود George the Black"، الذي كان عبدًا لأحد السراقنة في المسلمين حينما أُسر صغيرًا في سن الثامنة وأُجبر على اعتناق الإسلام، لكنه عندما بلغ سن الرشد ارتد عن الإسلام وعاد إلى دين المسيح مما أثار غضب سيده ومن حوله؛ حيث تعرض جورج للتعذيب حتى الموت.[96]

مثل هذه القصص الأسطورية ليست غريبة

في بقية نصه عن "دين الإسماعيليين"، زعم رجل الكنيسة الملكاني أن الرسول ﷺ كان يجلس إلى راهب أريوسي ليتلقى منه هذه "البدعة" (يقصد الإسلام) التي يقول فيها: "... أن هناك إلهًا واحدًا خالق كل شيء، لم يلد ولم يولد ... وأن المسيح كلمة الله وروحه، مخلوق وعبد الله ورسوله، وُلد من غير زرع، من مريم أخت هارون وموسى...".[102] هاجم يوحنا انتقاد الإسلام لتقديس الصليب مقارنًا إياه بتقبيل الحجر الأسود، قائلًا:"...لماذا إذًا تتمسحون بحجر كعبتكم، وتقبلونه، وتعانقونه؟ ...".[103] ثم عاد في موضع آخر ليشبه "الحجر الأسود بكوكب الزهرة أو "نجمة الصبح".[104]

ورغم اعتراف شوميكر بأهمية كتابات يوحنا الدمشقي لقربه من سلطة الدولة الأموية وفهمه الجيد للإسلام، إلا أنه لم يدرج ما كتبه الدمشقي ضمن النصوص التي ناقشها في كتابه، لأنها حملت "الصبغة الجدلية" (Polemical) أكثر من "الرواية التاريخية". لكننا وإن اتفقنا مع شوميكر في هذه الملاحظة المهمة، فمن غير الموضوعي استبعاد ما كتبه الدمشقي عن الإسلام والرسول ﷺ والكعبة. إذ سنجد أن أهمية أطروحات الدمشقي المضادة للإسلام تتمثل في أنها لقيت سبيلًا إلى بعض التواريخ البيزنطية لاحقًا.[105] ذلك ما حفّز عددًا من الباحثين لدراسة مصادر يوحنا الدمشقي التي وظّفها في صياغة تصوراته تلك، وفي مقدمتها ما زعمه حول علاقة الرسول ﷺ بالراهب الأريوسي، فبينما لم يخالط الشك "جون تولان John Tolan" أن يوحنا يشير في نصه السابق إلى "بحيرا" الراهب الذي ورد في السيرة النبوية،[106] فإن هذه العلاقة المزعومة في رأي "تشيديستر Chidester" لم تقم على أية أسس تاريخية.[107]

وفي السياق ذاته، انتقد باحث غربي آخر عدم تضمين "يوحنا" نصه اللاهوتي ماهية الأفكار التي استقاها نبي الإسلام ﷺ من الراهب الأريوسي، مؤكدًا على أنه لم يستطع أن يقدم تقييمًا حقيقًا لـ "...أفكار محمد ﷺ الدينية...".[108] يتفق هذا الاستنتاج مع دراسة أخرى تناولت بالتفصيل تسرب هذا الزعم إلى الكثير من الكتابات البيزنطية والأرمنية دون أن يبينوا على وجه التحديد أوجه الشبه بين العقيدة الإسلامية ومذهب أريوس.[109]

ومن الواضح أن هجوم يوحنا الدمشقي على الحجر الأسود وتشبيهه بنجمة الصبح وجد طريقه إلى الكتابات البيزنطية المتأخرة، لكن ربط الحجر الأسود بنجمة الصبح كان سؤالًا استحق أن يقف عنده أكثر من باحث، فبينما فسّر أحد الباحثين استخدام الدمشقي لنجمة الصبح محاولة منه لاتهام المسلمين بإعادة إحياء الوثنية وذلك بربط الحجر الأسود بـ "أفروديتي"، الربة الراعية لكوكب الزهرة،[110] يعارضه باحث آخر مرجحًا أن السبب وراء ذلك يكمن في رغبة رجل الكنيسة الملكاني حشد مايستطيع من مزاعم لإظهار تفوق النصرانية وذلك بالتحقير من شأن الإسلام.[111] لكنَّ باحثًا ثالثًا حاول بحث جذور استحضار نجمة الصبح مرجحًا أنها نشأت مع رجل الكنيسة "إبيفانيوس السلاميسي Epiphanius of Salamis " المتوفي سنة 403م.[112]

وإجمالًا، فإن مزاعم رجل الكنيسة الملكاني عبّرت عن انطباعات جدلية، أكثر مما تضمنت معلومات ذات قيمة تاريخية، إذ لم يذكر لنا مصدرًا بعينه، أو نصًا أقدم اعتمد عليه في صياغة مزاعمه التي اعتبر فيها أن الطواف حول الكعبة وتقبيل الحجر الأسود ضربًا من الوثنية، إلا أن استخدامه لمصطلح "أفروديت"، و "نجمة الصبح، أو كوكب الزهرة " يرجح أنه استوحى هذا النص الجدلي من الخلفية الوثنية الإغريقية، وربما ربط ذلك بالوثنية السائدة في جزيرة العرب حيث كانت عبادة العزى –التي تشير إلى كوكب الزهرة– شائعة حتى ظهور الإسلام. بل إنه هنا يناقض تمامًا سابقيه ومعاصريه من رجال الكنائس الشرقية الثلاث (النسطورية — اليعقوبية – المكلانية) في ذات النطاق الجغرافي والزمني، مثل مؤلف "التاريخ الصغير Short Chronicle" المجهول، ويوحنا بن الفنكي، وبعقوب الرهاوي، وأنسطاسيوس السينائي، الذين لم يشيروا إلى الشبهة الوثنية في رواياتهم عن "بيت الله"، أو "الكعبة" أو "قبة إبراهيم".[113] وعلى كل حال فمن الواضح أن المؤلف قد وظّف معرفته بالمسجد الحرام في جداله الديني على حساب الموضوعية التاريخية.

الخاتمة:

لا شك أن ما دوّنه رجال الكنائس في الأقاليم المفتوحة من رسائل، وخطب، ومواعظ، وقصص دينية باللغة اليونانية كانت على قدر كبير من الأهمية لكونها مصادر معاصرة للفتوحات الإسلامية لبلاد الشام ومصر وإفريقية، ذلك أنها نقلت انطباعات ومواقف واضحة تجاه الفاتحين العرب منذ وقت مبكّر للغاية. فقد ركزت المصادر في البداية على شخصية الرسول ﷺ، وأخبار الفتوحات، فضلًا عن ماهية المسلمين أنفسهم، ثم انتقلت تدريجيًا إلى تناول جوانب عقائدية وممارسات دينية نتيجة الاختلاط الدائم والتواصل اليومي بين أتباع الملتين. والواضح أن رسالة "تعاليم يعقوب" كانت أقدم مصدر غير إسلامي أشار صراحة إلى الرسول ﷺ وبعض ما كان يبشر به في دعوته للإسلام، فضلًا عن أنه أول مصدر يؤرخ لحركة الفتوحات الإسلامية، حينما أورد تفاصيل ثمينة عن نتائج معركة داثن. ثم إن بقية تلك المصادر اليونانية تضمنت معلومات نادرة قد لا نجدها في مصادر التراث الإسلامي التي تناولت بالتفاصيل مراحل الفتوحات مثل فتح بيت لحم، وسيناء، وقبرص فضلًا عن معلومات مهمة عن العمارة الإسلامية في المسجد الأقصى، من مسجد عمر إلى قبة الصخرة.

لكن هذه المصادر عبّرت بوضوح عن التفسير الكنسي لأسباب تلك الفتوحات والهزائم التي مُني بها أتباع المسيح حيث كانت "آثام أتباع المسيح" السبب الذي حظي بإجماع هؤلاء المؤلفين النصارى. ثم إن صورة الإسلام والمسلمين الفاتحين في كتابات هؤلاء كانت سلبية للغاية، حينما وصفتهم بالمتوحشين والبرابرة. بل إن تقادم الزمن وتعايش عدد من اللاهوتيين النصارى مع المسلمين ودخولهم في بعض المناظرات لم تغير من صورة الإسلام الذي كان أقرب إلى الوثنية على حد زعمهم، وهو ما يتجسد في تراث "أنسطاسيوس السينائي"، و"يوحنا الدمشقي".

كل ذلك يؤدي إلى نتيجة مفادها أن طبيعة التراث اليوناني اللاهوتية أدت إلى انحسار قيمته كمصدر تاريخي مهم على غرار المصادر السريانية أو حتى الأرمنية، التي قدمت مادة تاريخية جديرة بعناية الباحثين في هذه الحقبة المبكرة من تاريخ الإسلام. وإذا كان من فائدة لهذا التراث اليوناني تصلح للدراسة والبحث فإنها تنحصر في مسألتين رئيسيتين: أولها تلك الإشارات المبكرة إلى مسائل مركزية في العقيدة الإسلامية، التي تقدم مادة مفيدة –وإن كانت محدودة– في الرد على أطروحات مدرسة المراجعين الجدد حول تكوين الدين الإسلامي. أما ثانيها فتتمثل في أهمية دراسة مدى وجود وتأثير اللغة اليونانية خلال مرحلة الدراسة، كونها أحد اللغات التي بقيت حية في نطاق جغرافي واسع تحت الحكم العربي الإسلامي حتى نهاية العصر الأموي.

حواشي البحث:

•أستاذ التاريخ الإسلامي المشارك كلية العلوم والآداب – جامعة نجران

* يتقدم الباحث بخالص الشكر والتقدير لجامعة نجران ممثلة في عمادة البحث العلمي على دعمها هذا البحث في جميع مراحل كتابته حتى إتمامه ضمن المشروع البحثي رقم: NU/RG/SEHRC/12/5.

[1] هو قرار اتخذه الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان عام 81هـ/ 700م بتحويل لغة الدواوين إلى اللغة العربية، حيث أمر أحد كتابه على الخراج، ويُدعى سليمان بن سعد الخشني، بنقل ديوان الشام من الرومية إلى العربية؛ فأنجز ذلك قبل نهاية ذلك العام، ليتبعه نقل ديوان مصر من القبطية إلى العربية، وديوان العراق من الفارسية إلى العربية. وقد كان لهذا القرار تبعاته الثقافية والحضارية؛ فقد انتشرت العربية، وأصبحت اللغة الرسمية لمعظم الأقاليم الخاضعة للدولة الأموية. انظر: البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود، *فتوح البلدان*، (بيروت، دار ومكتبة الهلال، 1988م)، ص 193. الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، *الأحكام السلطانية*، تحقيق: أحمد مبارك البغدادي (الكويت، مكتبة دار ابن قتيبة، ط1، 1408هـ/ 1988م)، ص 264.

[2] الخوري، اسحق أرملة، *الملكيون: بطريركيتهم الأنطاكية ولغتهم الوطنية والطقسية*، (بيروت، المطبعة الكاثوليكية، 1936م)، ص 99.

[3] Crone, Patricia, and Michael Cook, *Hagarism: the making of the Islamic world*, (CUP Archive, 1977), p. 3- 4, 8, 155 n. 27. Nevo, Yehuda D., and Judith Koren, *Crossroads to Islam: The origins of the Arab religion and the Arab state*, (Prometheus Books, 2003), p. 115- 118, 208- 210. Donner, Fred M., *Muhammad and the believers: At the origins of Islam*, (Harvard University Press, 2010), pp, 92, 107- 108, Shoemaker, Stephen J. *A Prophet Has Appeared: The Rise of Islam through Christian and Jewish Eyes: A Sourcebook*, (California, University of California Press, 2021), p. 34.

[4] Haldon, John. "The Works of Anastasius of Sinai: A Key Source for the History of Seventh-Century East Mediterranean Society and Belief", *The Byzantine and Early Islamic Near East, Volume I: Problems in the Literary Source Material*, edited by A. Cameron and L. Conrad. (Princeton: Darwin Press, 1992). pp. 107–147.

[5] Hoyland, Robert G., *Seeing Islam as Others Saw It: a survey and evaluation of Christian, Jewish, and Zoroastrian writings on early Islam*, (Princeton, N.J., Darwin Press 1997), pp. 53 -116.

[6] *Three Byzantine Saints: Contemporary Biographies of St. Daniel the Stylite, St. Theodore of Sykeon and St. John the Almsgiver*, trans. Elizabeth Dawes, and introductions and notes by Norman H. Baynes, (London: 1948), online. https://sourcebooks.fordham.edu/basis/theodore-sykeon.asp . Hoyland, seeing Islam, pp. 53- 54.

[7] رجل دولة ومحام ومؤرخ من أصل مصري، وُلد في الإسكندرية عام 580م وتلقى بها تعليمه ثم انتقل إلى القسطنطينية فدرس القانون، ثم دخل في خدمة بطريرك كنيسة القسطنطينية سيرجيوس قبل أن يصبح سكرتيرًا للإمبراطور هرقل. له عدة مؤلفات في التاريخ أشهرها تاريخه الكبير الذي انتهى به عند مقتل كسرى الثاني في فبراير 628م/ 6هـ، حيث توفي ثيوفيلاكت نفسه بعد هذا الحادث بعامين عام 630م/ 9هـ قبل أن يدرك بداية الفتوحات الإسلامية لبلاد الشام. انظر: عبد الله، محمد زايد، *مصادر تاريخ العصور الوسطى: التاريخ البيزنطي*، (القاهرة، مصر العربية للنشر والتوزيع، 2015م)، ص 42.

[8] Simocatta, Theophylact, *The History of Theophylact Simocatta: An English Translation with Introduction*, Transl. & ed. Michael and Mary Whitby, (Oxford University Press, 1986), p. 121. Hoyland, ibid, p. 55.

[9] Hoyland, ibid, 54.

[10] اسمه فلافيوس هرقل، وُلد عام 575م تقريبًا، حيث يُرجح أنه من أصول أرمنية من بلدة "قبادوقيا Cappadocian" شرق الأناضول، كان والده هرقل الأكبر حاكمًا لقرطاجنة، ويعد عام 608م مرحلة حاسمة في حياته حينما ساعد والده في قيادة ثورة ناجحة ضد الامبراطور السابق "فوقاس Phocas ". وبحلول العام 610م تولى هرقل الابن السلطة في القسطنطينية لفترة حكم امتدت أكثر من ثلاثين عامًا. وشهدت الكثير من الأحداث الجسام، مثل حروبه مع الفرس، والفتوحات الإسلامية، والصراع المذهبي داخل الإمبراطورية نفسها. وقد توفي الإمبراطور هرقل الأول عام 20هـ/ 641م، لكن الحكم بقي في أسرته الهرقلية لمدة جاوزت السبعين عامًا.

Kazhdan, Alexander, et al, *The Oxford Dictionary of Byzantium*, (New Your & Oxford, Oxford University Press, 1991), vol. 3, p. 916- 917. Kaegi, Walter Emil, *Heraclius, emperor of Byzantium*, (Cambridge University Press, 2003), p. 21- 57.

[11] مصطلح يطلق على طائفة النصارى التي قبلت بقرارات مجمع خلقدونية سنة 451م حول طبيعة المسيح عليه السلام، ثم عرفوا لاحقًا بالملكيين أو الملكانيين؛ حيث أصبحوا تابعين لكنيسة أنطاكية (ثم القسطنطينية) الخاضعة للإمبراطورية البيزنطية. ويقول أتباع هذه الكنيسة أن للمسيح طبيعتين إلهية وبشرية اتحدتا في جسد المسيح. الخوري، الملكيون، ص 3–7. زيات، حبيب زيات، *الملكيون في الإسلام*، (لبنان، المطبعة البولسية، 1953م)، ص 1- 9.

[12] اليعقوبية حركة تجديد ظهرت داخل "المذهب المونوفيزتي Monophysitism" على يد أسقف الرها يعقوب البرادعي (ت 578م). ويقول أتباع المذهب اليعقوبي بالطبيعة الإلهية الواحدة للسيد المسيح عليه السلام. انظر: العايب، سلوى بالحاج صالح، *المسيحية العربية وتطوراتها من نشأتها إلى القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)*، ط2، بيروت، دار الطليعة، 1998م)، ص 28.

Rist, Josef (Würzburg), "Monophysitism", *Brill's New Pauly*, Antiquity volumes edited by: Hubert Cancik, Helmuth Schneider, English Edition by: Christine F. Salazar, Classical Tradition volumes edited by: Manfred Landfester, English Edition by: Francis G. Gentry, Brill, 2006. Consulted online on 30 December 2022 http://dx.doi.org/10.1163/1574-9347_bnp_e809120

[13] Dodgeon, Michael H., and Samuel NC Lieu, *The Roman Eastern Frontier and the Persian Wars AD 226-363: A Documentary History*, (Taylor and Francis, 2005) pp, 182- 229.

[14] "الآفار Avars" شعب آري محارب قدم من أواسط آسيا واستقر في شمال البحر الأوسط وحوض نهر الدانوب أيام الإمبراطور البيزنطي جستنيان الأول في بداية النصف الثاني من القرن السادس الميلادي. وقد شكلوا تهديدًا مستمرًا على الإمبراطورية البيزنطية وصل ذروته عند حصارهم للعاصمة القسطنطينية في عهد هرقل الأول.

Hornblower, Simon, Antony Spawforth, and Esther Eidinow, eds, *The Oxford Classical Dictionary*, (Oxford University Press, 2012), p. 225.

[15] Theophanes, Theophanes the Confessor, *The Chronicle of Theophanes Confessor: Byzantine and Near Eastern history, A. D. 284-813*, Trans. Cyril Mango & Roger Scott, (Oxford, Clarendon Press, 1997), p. 447. Nicephorus, Patriarch of Constantinople, *Patriarch of Constantinople: Short History*, (Washington, D.C. Vol. 13. Dumbarton

Oaks, 1990), pp. 59- 60. Cameron, Averil, *The Byzantines*, (Oxford, Blackwell, 2006), p. 30.

[16] مثل مؤتة في السنة 8 هـ/ 629، وتبوك سنة 9هـ/ 630هـ التي قادها الرسول ﷺ بنفسه دون وقوع صدام عسكري مباشر. وحملة أسامة بن زيد رضي الله عنه على البلقاء سنة 11هـ/ 632م. للمزيد انظر: الواقدي، محمد بن عمر، *المغازي*، تحقيق: مارسدن جونس، (بيروت، دار الأعلمي، ط3، 1409هـ/1989م)، ج2، ص 755، ج3، ص 989–1025، 1117– 1125. ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب، *السيرة النبوية*، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، (مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط2، 1375هـ/ 1955م)، ج 2، ص 373– 380، 515– 548.

[17] من أهم المصادر المستثناة في هذه الدراسة رسالة "البابا مارتن الأول Pope Martin I " أسقف القسطنطينية إلى صديقه "ثيودور Theodore" راهب "دير سبودايوس Spoudaios monastery " ببيت المقدس، ورسالة بطريرك القسطنطينية" جرمانوس الأول Germanus I " إلى "قسطنطين أسقف "ناكوليا Constantine of Nacolia " بأسيا الصغرى، إضافة إلى "تاريخ يوحنا النقيوسي The Chronicle of John, Bishop of Nikiu" الذي يُرجح أنه كُتب أصلًا باللغة القبطية قبل أن يُترجم مبكرًا لعدة لغات منها اليونانية.

Hoyland, Seeing Islam, pp. 75, 105- 106, 152.

[18] السراقنة، أو السراسنة، أو الساراسين، أو الساراقينوس (Sarakenoi) مصطلح أطلقه المؤرخون اليونان والرومان والأوروبيون لاحقًا على سكان جنوب الشام من العرب ثم عُمم لاحقًا للإشارة إلى العرب المسلمين. وظل هذا المصطلح شائعًا في الكتابات الأوروبية خلال العصور الوسطى ليشير إلى المسلمين على وجه العموم، إلا أن جذور هذا المصطلح بقيت محل خلاف بين المؤرخين قديمًا وحديثًا. انظر: المسعودي، أبو الحسن على بن الحسين، *التنبيه والإشراف*، تحقيق: عبد الله إسماعيل الصاوي، القاهرة، دار الصاوي، 1357هـ/ 1938م، ص 143. أبو سعدة، الأمين عبد الحميد، "سراكينوي: نشأة وتطور اللقب من العصور الكلاسيكية حتى عصر النهضة"، *دراسات تاريخية عن الجزيرة العربية في ضوء المصادر الكلاسيكية*، سجل أبحاث ندوة الجزيرة العربية في المصادر الكلاسيكية، من 12–16 ربيع الأول 1439هـ / 29 يناير–2 فبراير 2018م، تحرير: عبد الله العبد الجبار، رضا رسلان، نورة النعيم، هند التركي، الرياض، دارة الملك عبد العزيز، 2021م، ص 203 – 227.

Tolan, John Victor, *Saracens: Islam in the medieval European imagination*, (Columbia University Press, 2002), p. 10. Shahîd, Irfān and Bosworth, C.E., "Saracens", in: *Encyclopaedia of Islam, Second Edition*, Edited by: P. Bearman, Th. Bianquis, C.E. Bosworth, E. van Donzel, W.P. Heinrichs. First published online: 2012. Consulted online on 22 March 2022 http://dx.doi.org/10.1163/1573-3912_islam_COM_1003

[19] Teaching of Jacob Newly Baptized Translation by Andrew S. Jacobs, online; https://andrewjacobs.org/translations/doctrina.html .Shoemaker, p. 39- 40.

[20] Shoemaker, Ibid.

[21] Pahlitzsch, Johannes, "Didaskalia Iakōbou neobaptistou, 'Doctrina Iacobi nuper baptizati', 'Teachings of Jacob, the newly baptized'", *Christian-Muslim Relations: A Bibliographical History, Volume 1 (600-900)*, ed. Edited by David Thomas and Barbara Roggema, (Leiden & Boston, Brill, 2009), p. 117- 118. van der Horst, Pieter. "A Short Note on the Doctrina Jacobi Nuper Baptizati." *Zutot* 6.1 (2009): 1-6. Shoemaker, Stephen J., *The Death of a Prophet: The End of Muhammad's Life and the Beginnings of Islam*, (University of Pennsylvania Press, 2011), p. 20 - 27.

[22] Kaegi, Walter Emil. "Initial Byzantine Reactions to the Arab Conquest." *Church History* 38, no. 2 (1969): 139–49. 142

[23] أبو الوليد عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية القرشي، خامس خلفاء بني أمية ومؤسس البيت المرواني، وُلد في المدينة سنة 26هـ/ 646م، ونشأ بها ونال حظًا وافرًا من العلم حتى أصبح أحد فقهائها المعدودين. انتقل إلى دمشق بعد تولي ابن الزبير الحكم، ثم بويع بالخلافة بعد وفاة أبيه مروان بن الحكم سنة 65هـ/ 684م، وحكم حتى وفاته عام 86هـ/ 705م، حيث نجح في القضاء على جميع معارضيه وإعادة توحيد الدولة الأموية. ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع، *الطبقات الكبرى*، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت، دار صادر، 1968م)، ج5، ص 223. الطبري، محمد بن جرير، *تاريخ الطبري المشهور بـ تاريخ الرسل والملوك*، (بيروت، دار التراث، ط2، 1387هـ)، ج6، ص 419– 422.

[24] O'Sullivan, Shaun, "Anti-Jewish Polemic and Early Islam," in D. Thomas (ed.), *The Bible in Arabic Christianity*, (Leiden: Brill, 2007), p. 67.

[25] Anthony, Sean W., "Muḥammad, the Keys to Paradise, and the *Doctrina Iacobi*: A Late Antique Puzzle." *Der Islam* 91.2 (2014): (243-265), p. 247.

[26] Wright, William, *Catalogue of Syriac Manuscripts in the British Museum, Acquired Since the Year 1838*, (London, British Museum., 1872), Vol. 1, p 65- 66. Palmer, Andrew, Sebastian P. Brock, and Robert Hoyland, *The Seventh Century in the West-Syrian Chronicles*. Vol. 15, (Liverpool University Press, 1993), pp. 1- 4.

[27] ثبت في الصحيحين أن الرسول ﷺ قال: "لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْزِلَ فِيكُمْ (وفي رواية: لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ) ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُقْسِطًا، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الخِنْزِيرَ، وَيَضَعَ الجِزْيَةَ، وَيَفِيضَ المالُ، حَتَّى لاَ يَقْبَلَهُ أَحَدٌ".البخاري، محمد بن إسماعيل، *صحيح البخاري*، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، (بيروت، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ)، ج3، ص 136، حديث: 2476. مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري، *الكنى والأسماء*، تحقيق: عبد الرحيم محمد أحمد القشقري، (المدينة المنورة، المملكة العربية السعودي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، ط1، 1404هـ/1984م)، ج1، ص 135، حديث: 242.

[28] ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، *مسند الإمام أحمد بن حنبل*، تحقيق: شعيب الأرناؤوط – عادل مرشد، وآخرون، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 1421 هـ/ 2001م)، ج 36، ص 418، حديث: 22102.

[29] للمزيد عن الفتوحات الإسلامية لبلاد الشام انظر: الواقدي، محمد بن عمر بن واقد، *فتوح الشام*، (بيروت، دار الكتب العلمية، 1417هـ، 1997م)، ج1، ص 16– 306، ج2، ص 3 -33.

[30] للمزيد عن معركة داثن أو الداثنة انظر: البلاذري، فتوح البلدان، ص 113. الطبري، التاريخ، ج3، ص 406.

[31] ويكنى بـ "صفرونيوس الدمشقي"، نسبة إلى دمشق مسقط رأسه التي وُلد بها عام 560م. كان بطريرك بيت المقدس حتى وفاته بين عامي 13–17هـ/ 634– 638م. عاصر الفتح الإسلامي، وتولى بنفسه مهمة تسليم المدينة للخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

Savvidis, Kyriakos (Bochum), "Sophronius", Brill's New Pauly, Consulted online on 07 January 2023 http://dx.doi.org/10.1163/1574-9347_bnp_e1117380

[32] عندما استكمل المسلمون تأمين بلاد الشام وإخراج الروم من أهم معاقلهم فيها، قامت الجيوش الإسلامية بقيادة عمرو بن العاص بحصار بيت المقدس منذ شوال 15هـ/ 636م، وبعد قرابة عام وافق أهالي المدينة على تسليم المدينة بشرط أن يتسلمها الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، الذي قدم في ربيع الأول 16هـ/ 637م والتقى ببطريرك المدينة

"صفرونيوس"، واستلم مفاتيح بيت المقدس، وكتب له كتاب أمان عُرف بالعهدة العمرية. للمزيد انظر: الواقدي، فتوح الشام، ج1، ص 232– 235.

[33] Allen, Pauline, ed. *Sophronius of Jerusalem and Seventh-Century Heresy: The Synodical Letter and Other Documents*, (Oxford, Oxford University Press, 2009), p. 155. Shoemaker, pp. 47- 48.

[34] تقع بيت لحم في الضفة الغربية لنهر الأردن، وتُعد من أقدس المدن عند جميع طوائف النصارى، فهي مسقط رأس السيد المسيح عليه السلام، وتضم العديد من الكنائس الضاربة في القدم، أهمها كنيسة المهد. انظر: البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري، *معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع*، (بيروت، عالم الكتب، ط3، 1403هـ)، ج1، ص 289. الإدريسي، محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس، *نزهة المشتاق في اختراق الآفاق*، (بيروت، عالم الكتب، ط1، 1409هـ)، ج1، ص 362.

[35] Shoemaker, pp. 48- 49.

[36] Ibid.

[37] Hoyland, Seeing Islam, p. 67 – 73. Shoemaker, A Prophet Has Appeared, p. 49.

[38] Shoemaker, A Prophet Has Appeared, p. 50 - 51.

[39]Hoyland, Seeing Islam, p. 70.

[40] طقوش، محمد سهيل، *تاريخ الخُلفاء الرَّاشدين: الفُتوحات والإنجازات السياسيَّة*، (بيروت لُبنان، دار النفائس، 1432هـ، 2011م، ط2)، ص 269– 281.

[41] ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج3، ص 280.

[42] البلاذري، فتوح البلدان، ص 140.

[43] الواقدي، فتوح الشام، ج2، ص 197. اليعقوبي، أحمد بن أبي واضح، *تاريخ اليعقوبي*، (ليدن، مطبعة بريل، 1883م)، ج2، ص 159.

[44] أبي زرعة الدمشقي، عبد الرحمن بن عمرو بن عبد الله بن صفوان النصري المشهور بأبي زرعة الدمشقي، *تاريخ أبي زرعة الدمشقي*، وضع حواشيه: خليل المنصور، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1417هـ/ 1996م)، ص 35. الطبري، التاريخ، ج 3، ص 610.

[45] للمزيد عن المصادر السريانية التي تناولت الفتوحات الإسلامية لبلاد الشام انظر:

Palmer, et al: The Seventh Century, pp. 2 -19. Penn, Michael Philip, *When Christians first met Muslims: a sourcebook of the earliest Syriac writings on Islam*, (University of California Press, 2015), pp. 28, 52.

[46] راهب ورجل كنيسة بيزنطي وُلد في قيلقية منتصف القرن السادس الميلادي حيث نشأ وترعرع، وترهب في سن مبكرة في حياته عندما انتقل إلى دير القديس ثيودوسيوس القريب من بيت المقدس، حيث تعرف هناك على البطريرك صفرونيوس وأصبح صديقه الذي لا يفارقه، قبل أن يخرج من المدينة المقدسة إلى سيناء بسبب الغزو الفارسي حيث قضى بها عشر سنوات، وانتهى به المطاف في روما حيث توفي في تاريخ مختلف حوله.

Hoyland, Seeing Islam, p. 61. Brennecke, Hanns Christof, "Moschus, John", in: *Religion Past and Present*, (Brill, 2011) Consulted online on 05 November 2023 http://dx.doi.org/10.1163/1877-5888_rpp_SIM_10890

[47] Hoyland, Ibid, p. 63. Shoemaker, A Prophet Has Appeared, p. 76.

[48] الواقدي، فتوح الشام، ج1، ص 233.

[49] المقدسي، المطهر بن طاهر المقدسي، *البدء والتاريخ*، (بورسعيد، مكتبة الثقافة الدينية، د.ت)، ج5، ص 185.

[50] رجل دين ولاهوتي وُلد في قرية "خسفين Hispin " بالقرب من بحيرة طبرية، حيث نشأ هناك، ثم دخل في خدمة الإمبراطور هرقل، لكنه اعتزل العمل الحكومي والتحق بالرهبنة فالتحق بـ "دير القديس شاريتون The Monastery of St. Chariton" بالقرب من بيت لحم في فلسطين. سخر وقته للقراءة والاطلاع في الفلسفة واللاهوت. وخرج من فلسطين بسبب الغزو الفارسي ليعيش متنقلاً بين مصر وإفريقية وروما حتى استقر في القسطنطينية، حيث تعرض هناك للاضطهاد نتيجة موقفه المؤيد للعقيدة الخلقيدونية التي تبنت الإرادتين البشرية والإلهية للمسيح عليه السلام. وعُقدت له محاكمة، فقطع لسانه ويده ونُفي إلى جورجيا حيث توفي في بلدة يقال لها "تسغيري Tsageri " عام 42هـ/ 662م.

[51] Hoyland, Seeing Islam, p. 77. Shoemaker, A Prophet Has Appeared, p. 57.

[52] وُلد في قبرص في حدود عام 630م/ 9هـ، لكنه غادرها مع الفتح الإسلامي للجزيرة عام 649م/ 28هـ ليستقر في دير سيناء الشهير ويتفرغ لحياة الرهبنة والتأليف حتى وفاته بعد عام 700م/ 80هـ. يزعم ابن البطريق أنه أحد قادة هرقل واسمه "ماهان" هرب بعد هزائم جيوشه إلى سيناء وترهب واتخذ لنفسه اسم أنسطاسيوس، وهو أمر مستبعد نظرًا لتاريخ وفاة الراهب السينائي المتأخر عن بداية الفتوحات، فضلًا عن أن أنسطاسيوس الذي ترجم لنفسه في بعض رسائله، إضافة إلى ترجمته القصيرة التي وردت في "سنكسار القسطنطينية Synaxarion of Constantinople " لم تأتِ على شيء من هذا القبيل. انظر: ابن البطريق، افتيشيوس المكنى بسعيد بن البطريق، *التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق*، (بيروت، مطبعة الآباء اليسوعيين، 1905م)، ج2، ص 15.

Patrology: The Eastern fathers from the Council of Chalcedon (451) to John of Damascus (+ 750), ed. & transl. Di Berardino, Angelo, and Adrian Walford, (Cambridge James Clarke, 2008), pp. 313- 314.

[53] A. Binggeli, "Anastasius of Sinai", *Christian-Muslim Relations*, pp. 193- 194.

[54] Griffith, Sidney Harrison. "Anastasios of Sinai, the *Hodegos*, and the Muslims", *The Greek orthodox theological review* 32.4 (1987), p. 347.

[55] Griffith, ibid, p. 348. Hoyland, Ibid, p. 94. Shoemaker, Ibid, pp. 125- 126.

[56] Hoyland, Seeing Islam, p. 94.

[57] Shoemaker, A Prophet Has Appeared, p. 126.

[58] Crone and Cook, Hagarism, p. 14. Donner, Muhammad and the Believers, p. 71.

[59] Anastasius of Sinai, *Questions and Answers, Introduction, Translation and Notes*, by. Joseph A. Munitiz, (Turnhout, Brepols, 2011), p.195.

[60] سورة البقرة، آية 34.

[61]A Prophet Has Appeared, p.127.

[62] Cook, Michael, *Early Muslim Dogma, a Source-Critical Study*, (Cambridge, 1981), 145-58. Cited in; Griffith, the Hodegos, p. 146.

[63] Anastasius, Questions and Answers, p. 230

[64] الجابية واليرموك اسمان لمعركة واحدة تُعد في رأي كثير من المؤرخين أهم المعارك الحاسمة للصراع بين المسلمين العرب بقيادة أبي عبيدة بن الجراح وخالد بن الوليد، والروم البيزنطيين بقيادة ثيودور شقيق الإمبراطور هرقل في بلاد الشام عام 15هـ/ 636م. انتهت بانتصار المسلمين واندحار الروم نهائيًا من بلاد الشام. للمزيد انظر: الواقدي، فتوح الشام، ج1، ص 148– 194. البلاذري، فتوح البلدان، ص 136– 139.

[65] Hoyland, Seeing Islam, pp. 102 - 103.

[66] يوحنا بن الفنكي رجل دين ومؤرخ سرياني وُلد في بلدة فنك الواقعة على نهر الفرات في جزيرة ابن عمر بجنوب شرق تركيا حاليا. لا يُعرف تاريخ محدد لولادته لكن من الواضح أنه عاش في النصف الأخير من القرن السابع الميلادي، أو أواخر القرن الأول الهجري وبداية القرن الثاني الهجري/ أواخر القرن السابع الميلادي وبداية القرن الثامن الميلادي. انظر: الصوباوي، عبد يشوع، *فهرس المؤلفين*، حققه ونقله إلى العربية: يوسف حبي، (بغداد، المجمع العلمي العراقي، 1406هـ/ 1986م)، ص 207.

Brock, Sebastian P.M, *A Brief Outline of Syriac Literature*, (Kottayam, Kerala, India: St. Ephrem Ecumenical Research Institute, SEERI, 1997), p. 56.

[67] مؤرخ ورجل دين قبطي عاش في النصف الثاني من القرن السابع وحتى مطلع القرن الثامن الميلادي/ الثاني الهجري حيث عاصر عبد العزيز بن مروان الوالي الأموي على مصر، وكان أسقف مدينة نقيوس جنوب شرق الدلتا. يعد تاريخه منذ بدء الخليقة من أنفس المصادر المعاصرة للفتح العربي الإسلامي لمصر إذ يمثل وجهة النظر القبطية تجاه ذلك الحدث التاريخي. انظر: عبد الجليل، عمر صابر، *تاريخ مصر ليوحنا النقيوسي، رؤية قبطية للفتح الإسلامي*، القاهرة، دار عين، 2000م، ص 21– 28.

Ibn al-Muqaffa, Sāwīrus, *Historia Patriarcharum Alexandrinorum*, ed. Christian Friedrich Seybold, Beryti, E Typographeo Catholico, 1962, pp. 129, 134- 135.

[68] رجل كنيسة ومؤرخ أرمني عاش في النصف الثاني للقرن الثامن الميلادي/ الثاني الهجري، ولا نعرف عنه إلا معلومات قليلة للغاية سوى أنه وضع كتابًا أكمل به التاريخ المنسوب إلى سبيوس عن "فتوحات العرب في أرمينيا".

Kazhdan and et al, the Oxford Dictionary, vol. 2, p, 1220.

[69] Charles, R. H. *The Chronicle of John, Bishop of Nikiu*, (London & Oxford, Published for the Text and Translation Society, 1916), pp. 179- 202. Brock, Sebastian P., *Studies in Syriac Christianity History, Literature, and Theology*, (1992, Aldershot, Variorum), p 61. Ghewond, *History of Lewond, the Eminent Vardapet of the Armenians*, ed. & trans. Zaven Arzoumanian, (Wynnewood, Pennsylvania, St. Sahag and St. Mesrob Armenian Church, 1982), p. 48.

[70] Theophanes, The Chronicle, p. 485.

[71] Haldon, The Works of Anastasius, p. 113.

[72] Shoemaker, A Prophet Has Appeared, p.105.

[73] أبو عبد الرحمن *معاوية بن أبي سفيان بن صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف*، أسلم عام الفتح في أشهر الأقوال وأصبح من كتاب الوحي وشارك في فتوحات الشام ثم أصبح أميرًا على الشام قبل أن يدخل في صراع مع الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رضي الله فيما عرف بالفتنة، ثم بويع بالخلافة في عام الجماعة سنة 41هـ/ 661م م ليؤسس الدولة الأموية ويستمر في الحكم حتى وفاته عام 60هـ/ 680م. انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج7، ص 406.

[74] ابن خياط، خليفة بن خياط، *طبقات خليفة بن خياط*، تحقيق: سهيل زكار، (دمشق، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1414هـ/ 1993م)، ص 160، اليعقوبي، التاريخ، ج2، ص 191. الطبري، التاريخ، ج4، ص 257.

[75] البلاذري، فتوح البلدان، ص 153– 155.

[76] Ibid, p. 106- 107.

[77] Ibid, p. 113.

[78] Reinink, Gerrit J. "Early Christian Reactions to the Building of the Dome of the Rock in Jerusalem", *Xristianskij Vostok* (2001), p. 241.

[79] مثل "ابن الفنكي، و"يعقوب الرهاوي Jacob of Edessa"، و"سبيوس الأرمني Sebeos of Bagratunis "، و"يوحنا النقيوسي" و"الراهب الزوقنيني Zuqnin monk "، وحولية "الراهب القرطميني Qarṭmīn monk ". انظر: الباسبريتي، منصور بن مرزوق، *حوليات الراهب القرطميني*، (دهوك، دار المشرق، 2012م)، ص 43– 44.

Brooks, Ernest Walter. "The Chronological Canon of James of Edessa." *Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft* 54,1, pp. 100-102, (1900), p. 319. Brock, Studies in Syriac, p 61- 62. Sebēos, *Armenian History Attributed to Sebeos (Translated texts for historians; v. 31)*, Translated Texts for Historians E-Library, trans. & ed. Thomson, Robert W., James Howard-Johnston, and Tim Greenwood, (Liverpool University Press, 1999), pp. 112, 143 – 144, 149. Harrak, Amir, *The Chronicle of Zuqnīn: Parts III and IV. 488- 775 AD*, (Toronto, Pontifical Institute of Mediaeval Studies, 1999), p. 146.

[80] Adamnan, James Rose Macpherson, and Adamnan, *The pilgrimage of Arculfus in the Holy Land:(about the year AD 670)*, (AMS Press, 1895), pp. 4- 5.

[81] Hoyland, seeing Islam, p. 221- 223.

[82] Shoemaker, A Prophet Has Appeared, p.166.

[83] ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي، *البداية والنهاية*، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، (دار هجر للطباعة والنشر، ط1، 1418 هـ – 1997 م)، ج 9، ص 655.

[84] اليعقوبي، التاريخ، ج 2، ص 311.

[85] المقدسي، أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي البشاري، *أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم*، (ليدن، بريل، ط2، 1909م)، ص 159.

[86] سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قِزْأُوغلي بن عبد الله، *مرآة الزمان في تواريخ الأعيان*، تحقيق وتعليق: عمار ريحاوي، محمد رضوان عرقسوسي، (دمشق، دار الرسالة العالمية، ط1، 1434هـ/ 2013م)، ج9، ص 39.

[87] ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص43. الحنبلي، مجير الدين عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن العليمي، *الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل*، تحقيق: عدنان يونس عبد المجيد نباتة، (عمان، مكتبة دنديس، د.ت)، ج1، ص 272– 273.

[88] من الأهمية الإشارة إلى أن ثمة إجماعًا بين من درس النص على أن ثمة تزويرًا متعمدًا طرأ على النقش، حيث تم استبدال المأمون العباسي باسم عبد الملك ليكون النقش: "بنى هذه القبة عبد الله الإمام المأمون أمير المؤمنين في سنة اثنتين وسبعين تقبل الله منه". الخليفات، زينب على عبد الرحمن، "خطوط قبة الصخرة المشرفة: دراسة تاريخية – فنية" رسالة ماجستير، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، (عمان، 2015م)، ص 76– 77.

Charles-Jean-Melchior de Vogüé, *Le temple de Jérusalem. Monographie de Haram ech-Chérif* (Paris: Noblet & Baudry, 1864), pp.80–5. Cited in Milwright, Marcus, *The Dome of the Rock and Its Mosaic Inscriptions*, (Edinburgh University Press 2015), pp. 35- 36, 65. Kessler, Christel. "'Abd Al-Malik's Inscription in the Dome of the Rock: A Reconsideration." *The Journal of the Royal Asiatic Society of Great Britain and Ireland*, no. 1 (1970): 2–14.

[89] لم تزل هذه الرسالة غير منشور حتى عام 2021م حيث نوه شوميكر إلى أن الباحث الألماني " كارل هاينز أوثمان Karl-Heinz Uthemann " لا يزال يعمل على ترجمتها تمهيدًا لنشرها مستقبلاً. انظر:

Shoemaker, A Prophet Has Appeared, p. 124.

[90] Ibid, p. 124.

[91] Ibid, p. 125.

[92] Shoemaker, A Prophet Has Appeared, p. 108.

[93] للمزيد عن فتوحات مصر انظر: ابن خياط، التاريخ، ص 124– 143. ابن عبد الحكم، عبد الرحمن بن عبد الله، *فتوح مصر والمغرب*، (القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، 1415هـ)، ص 80. البلاذري، فتوح البلدان، ص 210– 221.

[94] علي، جواد، *المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام*، (بيروت، دار الساقي، 2001م)، ج 1، ص 27. *الجَزِيرَةُ العَرَبِيَّةُ في المِصَادِرِ الكلاسِيكِيَّةِ 1: هيرودوتس والجزيرة العربية*، إشراف وتحرير: عبد الله عبد الجبار، ترجمة: إبراهيم السايح، تعليق: رحمة عواد السناني، (الرياض، دارة الملك عبد العزيز، 1439هـ، 2017م)، ص 48، 65.

Ptolemy, Claudius, *The Geography*, Transl. & ed. EL. Stevenson, (Dover Publications INC, New York, 1991), p. 129.

[95] Ibid, p. 108- 109.

[96] Ibid, p. 112.

[97] Hoyland, ibid, p. 101. Cited in Anastasius of Sinai, Narrat. C7 (sailors), B2 (= Nau, XLIV: says 24 Arabs). Tolan, Saracens, p. 44. Cited in Flusin, Bernard "Démons et Sarrasins: L'auteur et le propos des Diègèmata Stèriktiká d'Anastaste le Sinaïte," *Travaux et mémoires* 11 (1991), pp, 387, 404–5. Shoemaker, a Prophet, p. 110

[98] ابن هشام، السيرة النبوية، ج1، ص 391.

[99] الأزرقي، أبو الوليد محمد بن عبد الله، *أخبار مكة وما جاء فيها من الأثار*، تحقيق: رشدي الصالح ملحس، (بيروت، دار الأندلس، د.ت)، ج1، ص 157. الفاكهي، أبو عبد الله محمد بن إسحاق، *أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه*، تحقيق: عبد الملك عبد الله بن دهيش، (بيروت، دار خضر، ط2، 1414هـ) ج5، ص 210.

[100] يوحنا بن سرجون بن منصور الرومي من مواليد دمشق عام 676م/ 56هـ تقريبًا، حيث كان والده سرجون بن منصور موظفًا مرموقًا في البلاط الأموي ومسؤولًا كبيرًا عن جباية الضرائب (ديوان الخراج)، وهي الوظيفة نفسها التي تولاها يوحنا نفسه في زمن لاحق قبل أن يترهّب ويتفرغ للكتابة والتأليف في أحد أديرة فلسطين حتى وفاته في ديسمبر 749م/ 132هـ تقريباً.

Daniel J. Sahas, *John of Damascus on Islam: The "Heresy of the Ishmaelites"*, (Leiden: Brill, 1972), pp. 17- 48. John of Damascus, *Saint John of Damascus Writings*. Transl. Frederic H. Chase, (The Catholic University of America Press, Washington, D.C., 1958), pp. v- xxvi; Glei, Reinhold, "John of Damascus", in: *Encyclopaedia of Islam, THREE*, Edited by: Kate Fleet, Gudrun Krämer, Denis Matringe, John Nawas, Everett Rowson. First published online: 2018. Consulted online on 07 March 2022 http://dx.doi.org/10.1163/1573-3912_ei3_COM_32843

[101] John of Damascus, Writings, p. 154. Janosik, Daniel J. *John of Damascus, first apologist to the Muslims: The Trinity and Christian apologetics in the early Islamic period*, (Wipf and Stock Publishers, Eugene; Oregon 2016), p. 260- 261. Schadler, Peter. *John of Damascus and Islam: Christian Heresiology and the Intellectual Background to Earliest Christian-Muslim Relations*, (Leiden; Boston, Brill, 2018), p. 219.

[102] John of Damascus, ibid, 153- 154. Janosik, ibid, 261.Schadler, ibid, p. 121.
[103] Ibid, p. 156.
[104] John of Damascus, Ibid, p. 154.
[105] مثل كتابات "ثيوفان المعترف" (*Theophanes the Confessor*)، توفي حوالي عام 817م/ 201هـ، و"قسطنطين السابع بورفيروجينيتوس" (Constantine VII Porphyrogenitus)، توفي عام 959م/ ٣٤٨م. انظر إلى:
Theophanes, The Chronicle, pp. 509, 592. Constantine Porphyrogenitus, *De Adminstrando Imperio*, ed. GY. Moravcsik, trans. R.J.H. Jenkins, (Dumbarton Oaks, Washington, D.C., 1967), p. 79.
[106] Tolan, Saracens, p. 52.
[107] Chidester, David, *Christianity: A Global History*, (San Francisco: Harper, 2000), p. 173.
[108] Awad, Najib George, "'Supposedly Encountered an Arian Monk" John of Damascus on the Origin of Islam", *John of Damascus: More than a Compiler*, ed. Scott Ables, (Leiden & Boston, Brill, 2022), pp. 119- 120.
[109]Roggema, Barbara, *The Legend of Sergius Baḥīrā: Eastern Christian apologetics and apocalyptic in response to Islam*, Vol. 9. (Leiden & Boston, Brill, 2009), pp. 168- 173.
[110] Chidester, Christianity, p. 173.
[111] Janosik, Daniel J., *John of Damascus, first apologist to the Muslims: The Trinity and Christian apologetics in the early Islamic period*, (Wipf and Stock Publishers, 2016), p. 203.
[112] Schadler, John of Damascus, 150.
[113] مؤلف مجهول، *التاريخ الصغير، القرن السابع الميلادي*، ترجمه وعلق عليه: بطرس حداد، (بغداد، مجمع اللغة السريانية، 1977م)، ص 104– 105.
Brock, Studies in Syriac, p 66. Haar Romeny, R. B. ter. *Jacob of Edessa and the Syriac Culture of His Day*, (Leiden: Brill, 2008), p. 20. Cited in Rignell, Karl Erik, *A Letter from Jacob of Edessa to John the Stylite of Litarab concerning Ecclesiastical Canons*, (Lund, 1979), pp 518–519. Al-Ka'bī, Naṣīr 'Abd al-Ḥusayn, *A Short Chronicle on the End of the Sasanian Empire and early Islam 590-660 AD*, (Piscataway, NJ , Gorgias Press, 2016), p xi.